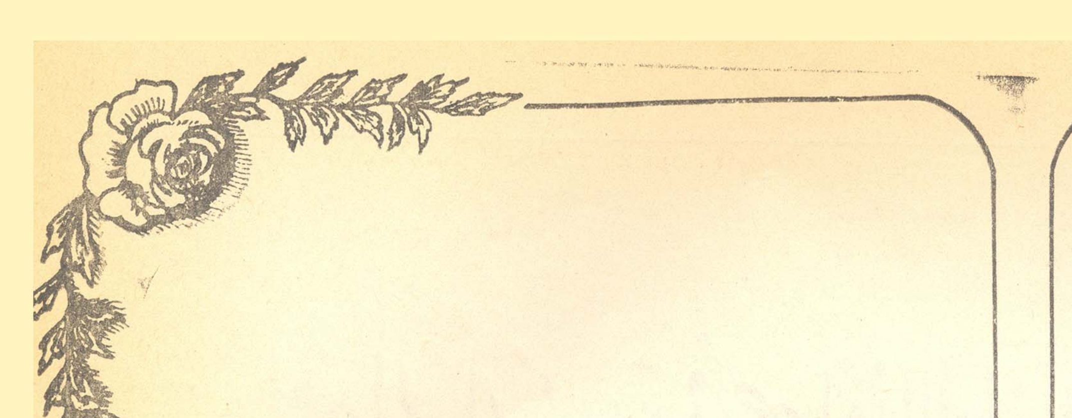


الثقافة

فكرية جامعة تصدر في دمشق

تأسست عام ١٩٥٨

صاحبها ورئيس تحريرها

مدحة عكاش

الادارة والتحرير :

دمشق - شارع الأرجنتين

هاتف ٢٢٩٩٨٤

ص.ب ٢٥٧٠

REVUE "AL - SAKAFA"

PROPRIETAIRE — DIRECTEUR EN CHEF

MIDHAT AKKACHE

DAMAS (R. A. S.)

B. P. 2570 — Tel. 229984

تشرين الاول

١٩٨١

اللقاءات الادبية

لعل ابرز ماتمتاز به هذه الفترة من حياة الامة الثقافية تلك اللقاءات الواسعة التي أصبحت حصيلة طيبة للمؤتمرات الادبية والمهرجانات الشعرية والتي تقام في فترات متقاربة في كل قطر عربي ..

لقد كان آخر هذه المهرجانات ، المهرجان الشعري الثاني والذي اقيم في الجماهيرية العربية الليبية بمناسبة أعياد الفاتح في الشهر المنصرم .. وقد أبرز وجها ثقافيا مشرقا في إبداع الشعراء على اختلاف أقطارهم .. وعلى تباعد وجهاتهم الادبية . وربما كان العامل الاول في انجاح هذا المهرجان ما تمتع به أدباء الجماهيرية العربية الليبية من أدب جم وخلق كريم كان موضع اعجاب المؤتمرين .. ولم يكن ذلك غريبا من ادباء الجماهيرية وشبابها فقد استقبل المشتركون في مهرجان الشعر الاول والذي حمل عنوان « الادب المقاتل » منذ فترة وجيزة بحفاوة وتكريم لا يقل عما قوبل به ادباء المهرجان الثاني ..

أجل ، انها ظاهرة صحية في النشاطات الادبية ، وبعد قليل سيقام اسبوع ثقافي ليبي في القطر العربي السوري ، ومن ثم ينتقل الادباء العرب الى «الي[illegible] ليشهدوا هناك مؤتمرا ادبيا عاما ومهرجانا شعريا موسعا ..

وكلنا أمل ان تؤتى هذه المؤتمرات ثمارها . وان يكون في هذه اللقاءات وحدة فكرية تجمع ادباءنا العرب في مختلف أقطارهم ..

رئيس التحرير

القيم السائدة في صحافة الأطفال السورية

* سمر روحي الفيصل

مصطلحات الدراسة : تحديد وتعريف

١ ـ صحافة الاطفال :

لا أطرح شيئا جديدا حين أقول ان صحافة الاطفال وسيلة ثقافية وترفيهية واعلامية هامة وخطير في الوقت نفسه . اما أهميتها فلانها تؤدي مهمة ايصال القيم بسهولة ويسر الى الاطفال ، ولانها تتضمن مزايا لا يستطيع الكتاب التحلي بها . فثمنها بخس وعددها وافر وموادها متنوعة ، وحجمها ملائم . وباختصار فان مزاياها قادرة على خلق صلات عديدة حميمية بالطفل ، تبعا لمقدرتها على تعريفه بالمجتمع ، وتقديمها الخبرات الجديدة المتنوعة . واما خطر صحافة الاطفال فعائد الى انها مقروءة قادرة على التغلغل الى الامكنة التي تعجز التربية المدرسية عن الوصول اليها ، وعائد أيضا الى أن الطفل يحبها ويقبل عليها، مما يعني مقدرتها على توجيهه . فاذا كانت القيم المطروحة فيها سلبية كان الخطر ذا تأثير كبير ، وان كانت قيمتها ايجابية فلا وجود لهذا الخطر .

غير خاف على أحد أن صحافة الاطفال تعني الصحف والمجلات التي يقوم عليها الكبار ويساهم الاطفال فيها بنسب متفاوتة . والمهم عندنا أن الدولة هي التي تصدر هذه الصحف والمجلات ، ومعنى أن الصحافة وسيلة تربوية تكمل عمل المدرسة من حيث بناء الجيل بناء يوافق الفلسفة التربوية التي تعتمدها الدولة . ولهذا السبب فان المرء يفترض ـ نظريا على الاقل ـ أن القيم المطروحة عن طريق هذه الصحافة هي القيم السائدة في المجتمع الذي ترغب الدولة في بنائه . وما دمنا في حيز الفرضية فان معرفة القيم السائدة في صحافة الاطفال السورية تطرح أمامنا «القيم التي ترغب الدولة في غرسها ، في الطفل أو تربيته عليها» أو ترسم لنا صورة لهذه القيم نرى فيها الخطأ والصواب في عملية طرح القيم، وبالتالي نكون قادرين على تصحيح مسيرة القيم في صحافة الاطفال السورية . وهذا الامر الاخير هو الهدف من الدراسة الحالية .

ثم أن سورية تضم مجلة «أسامة» التي تصدر مرتين في الشهر ، وصفحة الطفل في صحيفة البعث التي تصدر أسبوعيا(١) ولسوف تنصرف الدراسة الى القيم السائدة فيهما . والمرء بطبيعة الحال ، عاجز عن سبر القيم السائدة في اصداراتها كلها ، بل انه غير محتاج الى ذلك أصلا . فقد جرت عادة دارسي القيم في صحافة الاطفال على اختيار عينة من الاصدارات اذا كان مجموع الاصدارات في السنة اثني عشر اصدارا (٢) ، كما يستطيع مضاعفة العدد المختار اذا تضاعف عدد الاصدارات . والمعروف ايضا أن مجموع اصدارات مجلة أسامة في السنة أربعة وعشرون اصدارا ، بمعنى أن ستة اصدارات كافية لتكون عينة بحث عن السنة الواحدة . وقد وقع

اختيار المرء على السنوات الثلاث التالية : ١٩٧٧ - ١٩٧٨ - ١٩٧٩ للدراسة القيم السائدة فيها، واختار لذلك ثمانية عشر اصدارا من مجلة أسامة بحيث تكون الاعداد المختارة من كل سنة هي الاعداد الستة الاخيرة(٣) . أما صفحة الطفل في صحيفة البعث فقد صدرت في أوائل عام ١٩٧٩ وما دامت تصدر أسبوعيا فالافتراض المأخوذ به عادة هو أن عدد اصداراتها السنوية ثمانية وأربعون اصدارا . وقد اختار المرء آخر صفحة من كل شهر بحيث كان مجموع العينة اثني عشر عددا (٤) .

والواضح اننا اخترنا ثلاث سنوات من عمر مجلة أسامة بغية معرفة التغييرات القيمية في سنوات عديدة ، الامر الذي يجعل الدراسة اكثر دقة . اما عينة صفحة الطفل فلم نخترها من زمن محدد خوف وجود تأثيرات معينة في هذا الزمن تدفع القيم نحو السيادة في مجموعة دون اخرى .

٢ - القيم :

ان القيم دوافع محركة لسلوك الفرد ومحددة له، ولها دور فعال في تكامل شخصيته . ذلك أن اتساق نظام القيم لدى الفرد يعني أنه ذو شخصية سليمة ، بينما تؤدي الصراعات في نظامه القيمي إلى اضطرابات عصابية . ومن جهة أخرى فان الفرد عضو في مجتمع ولكي يتمكن من الحياة في هذا المجتمع فان عليه أن يتبنى نظام القيم السائد فيه . وهذا لا يعني أنه لا يجوز للفرد أن يتحدى ذلك النظام ، اذ الاصلاح الناجح عادة هو فرد يشارك في معظم قيم جماعته ، وعن طريق هذه المشاركة يمكنه الاتصال بهم لكي يبشر بقيم غير تقليدية أو ثورية لها دورها في عمليات التغيير الاجتماعي(٥) . وتعد هذه التغييرات في القيم أساسية في أية محاولة ناجحة للتطور ، ولهذا تصوغ الفلسفة التربوية تلك القيم ، وتطرحها عن طريق المدرسة ووسائل الاعلام والثقافة ، تبعا لايمانها المطلق بأن القيم ليست فطرية ، بل تكتسب خلال عملية التعلم .

ان ترسيخ القيم مهمة صعبة تستغرق زمنا طويلا ، ولهذا يبدأ التربويون بالطفل ، ويعدونه أساس التغيير الاجتماعي . والمعروف أن القيم التي تسعى الفلسفة التربوية العربية السورية لترسيخها في الطفل متعددة(٦) تشمل الامور القومية والوطنية والشخصية والعقلية والجسمانية والاشتراكية والاجتماعية والترويحية .

والسؤال الآن : ما أمر هذه القيم في صحافة الاطفال السورية ؟. ان الاجابة عن هذا السؤال تستدعي الاشارة الى نوعين من القيم : قيم صريحة يطرحها الكاتب بشكل مباشر ، كأن يحث الطفل على الصدق او حب الوطن . وقيم ضمنية يطرحها الكاتب بشكل غير مباشر ، فيدعو الطفل الى الصدق أو حب الوطن دون أن يبدو الامر صريحا واضحا ، بل يستنبطه الطفل من سياق النص المقروء .

يضاف الى ذلك أن القيم المطروحة في النص قد تكون ايجابية فتدعو لما هو مرغوب فيه ، أو تكون سلبية تدعو لما هو مرغوب في استبعاده .

والامر في جعل القيمة صريحة أو ضمنية ، ايجابية أو سلبية ، عائد الى الكاتب نفسه ووعيه لعمله ولاثر القيم في سلوك الطفل القارىء . وهذا هو السبب الذي يدفع الدارسين الى معرفة القيم السائدة في أدب الاطفال وصحافتهم ، وهو نفسه الذي يدعونا للقول اننا نحكم على القيمة من حيث هي نص مكتوب او مستنبط ، دون ان يكون في مقدورنا الحكم على تأثر الطفل بها نفسيا بحيث تدفعه الى تبني سلوك جديد أو تعزز لديه سلوكا ايجابيا سابقا .

قمت - في هذه الدراسة - بتحليل ٢٢٣ نصا من نصوص مجلة أسامة وصفحة الطفل (العينة المختارة) ، واستخرجت القيم الواردة فيها ، مستعينا بسبع وأربعين قيمة ذكرها تصنيف «وايت» المطور(٧) ضمن ثماني مجموعات هي :

أ - مجموعة القيم الاجتماعية :

وحدة الجماعة - الظرف واللطافة - قواعد السلوك - التواضع - المماثلة (التشبيه) - الكرم والعطاء - التسامح - حب الناس (الجنس الآخر - الاسرة - الصداقة) .

ب - مجموعة القيم الاخلاقية :

الاخلاق - الصدق - العدالة - الطاعة - الدين .

ج - مجموعة القيم القومية / الوطنية :

الوطنية - حرية الوطن (استقلاله) - وحدة

الاقطار المجزاة (عربية ـ غير عربية) .

د ـ مجموعة القيم الانسانية :

الطعام ـ الراحة ـ النشاط ـ الصحة وسلامة الجسم والرفاهية :

هـ ـ مجموعة القيم الترويحية (التسلية ـ اللعب)

الخبرة الجديدة ـ الاثارة ـ الجمال ـ المسرح ـ التعبير الذاتي المبدع .

و ـ مجموعة قيم تكامل الشخصية :

التكيف والامن الانفعالي ـ السعادة ـ التحصيل والنجاح ـ التقدير ـ اعتبار الذات (احترام الذات) السيطرة (التسلط) ـ العدوان ـ القوة ـ التصميم ـ الحرص والانتباه ـ استقلال الفرد ـ المظهر .

ز ـ مجموعة القيم المعرفية / الثقافية :

المعرفة ـ الذكاء ـ الثقافة .

ح ـ مجموعة القيم العملية الاقتصادية :

العملية (الواقعية) ـ العمل ـ الاقتصادية ـ الضمان الاقتصادي ـ الملكية الاشتراكية .

٣ ـ قواعد التحليل :

يفترض المرء أن تكون العبارات الواردة في نصوص الصحف والمجلات واضحة محددة ، ولكي يستطيع تصنيفها في جداول التكرار بغية تحليلها ، لا بد من قواعد تتسم هي الاخرى بالوضوح والتحديد . وقد سارت الدراسة الحالية على القواعد التالية :

أ ـ استبعدت النصوص الشعرية لصعوبة تحللها ولاعتمادها على الرموز ، كما استبعدت للغرض نفسه الحواريات والتمثيليات الشعرية .

ب ـ استبعدت القصص المصورة التي لاتضم كلاما ، كما استبعدت المواد المعنية بفوارق الصور وبالمتاهات و « بالكاريكاتير » .

ج ـ استبعدت الطرائف والمسلسلات النثرية المصورة التي لم تكتمل في الاعداد المختارة لتكون عينة للبحث ، كمسلسل الاميرة الحزينة ومسلسل مغامرات السندباد الواردين في مجلة اسامة .

د ـ اذا كانت هناك فكرة ما تتضمن اكثر من قيمة ، فقد كنت أسجل القيمة التي أعتقد أن الكاتب يؤكد عليها أكثر من غيرها . وقد استفدت في هذا الامر من عنوانات النص النثري ، او من خاتمة الموضوع ، او من تكرار بعض الكلمات والجمل في الفكرة الواحدة(٨) .

هـ ـ كنت أعتمد في الموضوعات القصيرة جدا على عنواناتها العامة ، من نحو :

تسليات ـ العب وتعلم ـ فكر معنا ـ رياضة .. الخ . أما سبب ذلك فعائد الى أن السياق لايقدم قيمة معينة خارج القيمة المفهومة من العنوان .

و ـ اذا كان في النص فكرتان ، الاولى سبب والثانية نتيجة ، أو أن احداهما وسيلة والاخرى غاية ، فقد كنت أتبع في تحليلهما القاعدة التي يتبعها محللو محتوى نصوص الاطفال(٩) ، أي انني كنت أعدهما قيمة واحدة ان تضمنتا قيمة ، والا فقد كنت اهملهما .

أما خطوات التحليل فبسيطة جدا ، خلاصتها قراءة النص النثري لتحديد فكرته العامة والقيمة التي يطرحها . ثم معرفة انتساب هذه القيمة الى تصنيفها : صريحة ضمنية ـ ايجابية سلبية . وأخيرا تفريغ النتجة في جداول التحليل . وقد حرصت على أن تكون الجداول في آخر الدراسة ليستفيد منها الراغب في معرفة الجزئيات التي لم نذكرها في سياق النتيجة . وعلى أية حال فقد تم التفريغ في الجداول التالية :

ـ الجدول رقم ١ : لنتائج تحليل نصوص مجلة أسامة لعام ١٩٧٧

ـ الجدول رقم ٢ : لنتائج تحليل نصوص مجلة أسامة لعام ١٩٧٨

ـ الجدول رقم ٣ : لنتائج تحليل نصوص مجلة أسامة لعام ١٩٧٩

ـ الجدول رقم ٤ : لنتائج تحليل نصوص صفحة الطفل في صحيفة البعث للعام ١٩٧٩

أما الجدول العام الذي يضم تكرارات القيم وتوزعها ، وكذلك مضمون الجدول المقارن الذي صنعته بغية التأكد من صحة نتيجة الدراسة فقد حرصت على ايرادهما في سياق الدراسة كي يتم تعليلهما وعرضهما على الراغبين في مناقشتها . ولئلا يكون هناك أي لبس في أثناء الدراسة فانني استخدمت « الفكرة » وحدة للتحليل . وقداعتمدت دراسات كثيرة عربية وغير عربية(١٠) على «الفكرة» في تحليل محتوى صحافة الاطفال .

وهي ـ كما أشرنا قبل قليل ـ ضمنية اذا كانت سلوكا يستجيب به الطفل أو نتيجة لهذا السلوك(١١) يمعنى أن الكاتب لا يصرح بما يريد تقديمه للطفل ، بل يجعل ذلك مفهوما من السياق بشكل غيرمباشر. وهي ـ أيضا ـ صريحة اذا كانت جملة أو فكرة يقال فيها بشكل مباشر ان هدفا أو معيارا مرغوب أو غير مرغوب فيه .

نتيجة الدراسة : عرض وتعليل

تم تحليل (٢٢٣ نصا) توزعت على النحو التالي:

عام ١٩٧٧ : ٦٤ نصا

عام ١٩٧٨ : ٤٥ نصا

عام ١٩٧٩ : ٥٦ نصا

ب ـ من صفحة الطفل في صحيفة البعث: ٥٨ نصا

يوضح الجدول التالي النتائج العامة للتحليل من حيث ترتيب مجموعات القيم ، ومن حيث توزعها على أنواع القيم :

الرقم	اسم المجموعة	صريحة	ضمنية	ايجابية	سلبية	المجموع
١ـ	المعرفية الثقافية	٨٨	٦	٩٧	—	٩٧
٢ـ	الاجتماعية	٢٢	١٨	٣٣	٧	٤٠
٣ـ	تكامل الشخصية	١٥	١٤	٢٠	٦	٢٦
٤ـ	الترويحية	١٦	٧	٢٤	٢	٢٦
٥ـ	العملية الاقتصادية	٧	٤	٩	٢	١١
٦ـ	القومية الوطنية	٧	٣	١٠	—	١٠
٧ـ	الأخلاقية	٤	١	٥	—	٥
	الجسمانية	٤	١	٣	٢	٥
	المجموع	١٦٦	٥٧	٢٠١	٢٢	٢٢٣

يتضح من الجدول أن أكبر عدد من القيم قد تمركز الى جانب مجموعة القيم المعرفية الثقافية (٩٧ قيمة) ، في حين جاءت مجموعتا القيم الاخلاقية والجسمانية في المرتبة السابعة والأخيرة ، وقد تمركزت الى جانبهما قيم قليلة جدا (٥ قيم) . والجدول بمجموعه يوضح أن صحافة الاطفال السورية تعير القيم المعرفية الثقافية أكبر قدر من الاهتمام ، تليها مجموعة القيم الاجتماعية فتكامل الشخصية فالترويحية فالعملية الاقتصادية فالقومية الوطنية ، وأخيرا القيم الاخلاقية والجسمانية . الاان هناك فارقا كبيرا في تمركز القيم الى جانب هذه المجموعات. ففي حين تمركزت سبع وتسعون قيمة الى جانب مجموعة القيم المعرفية الثقافية ، فان مجموعة القيم قد انخفض الى أقل من النصف من المرتبة الاولى الى المرتبة الثانية ، ثم نراه ينخفض انخفاضا قليلا بين المرتبة الثانية والمرتبتين الثالثة والرابعة بحيث نلاحظ أن تسعا وعشرين قيمة قد تمركزت الى جانب مجموعة قيم تكامل الشخصية ، وان ستا وعشرين

قيمة قد تمركزت الى جانب مجموعة القيم الترويحية وبعد ذلك ينخفض العدد انخفاضا كبيرا . احدى عشرة قيمة الى جانب مجموعة القيم العملية الاقتصادية ، وعشر قيم الى جانب مجموعة القيم القومية الوطنية ، وخمس قيم الى جانب مجموعتي القيم الاخلاقية والجسمانية . وهذا التمركز يشير الى أن القيم المعرفية الثقافية والاجتماعية وتكامل الشخصية والترويحية هي القيم السائدة في صحافة الاطفال السورية على تفاوت بينها في درجة الاهتمام كما يشير التمركز نفسه الى ضعف اهتمام صحافة الاطفال السورية بالقيم العملية الاقتصادية والقومية الوطنية والاخلاقية والجسمانية .

في مقدور المرء اذن اعادة ترتيب مجموعات القيم تبعا لتأكيد صحافة الاطفال عليها ، بحيث نضع القيم المعرفية الثقافية في المرتبة الاولى ، والقيم الاجتماعية في المرتبة الثانية ، وقيم تامل الشخصية والترويحية في المرتبة الثالثة ، والقيم العملية الاقتصادية والقومية الوطنية والاخلاقية والجسمانية في المرتبة الرابعة . ولسوف نحاول الآن تعليل التمركز في كل مرتبة على حدة .

المرتبة الاولى : القيم المعرفية الثقافية

أشار التحليل الى أن هذه المجموعة قد لقيت عناية خاصة من صحافة الاطفال السورية ، بحيث تمركزت الى جانبها سبع وتسعون قيمة . وهذه تشير دون اي لبس الى الاهمية التي يمنحها كتاب الاطفال القيمة المعرفة ، مما يعكس الاتجاه المدرسي في فهم الطفل . أقصد : تعليمه وتغذيته بالمعارف من قبل الكبار ، وجعله يحفظ أكبر قدر ممكن من الحقائق والمعارف . ولو تذكرنا أن مجموعة القيم المعرفية الثقافية تضم ثلاث قيم هي المعرفة ــ الذكاء ــ الثقافة ، ورحنا نبحث عن تمركز قيم هذه المجموعة الى جانب كل قيمة على حدة ، لوجدنا ثمانيا وسبعين قيمة تمركزت الى جانب قيمة المعرفة ، وخمس قيم الى جانب قيمة الذكاء ــ وأربع عشرة قيمة الى جانب قيمة الثقافة . وهذا التمركز الحاد في القيم الخاصة بالمعرفة يؤكد الاتجاه المدرسي المذكور قبل قليل ، ويؤكد عدم وجود أي تخطيط أو برمجة في طرح كتاب الاطفال للقيم عن طريق الصحافة . والا فماذا يعني انصرافهم جميعا الى قيمة معينة في المجموعة واهمالهم القيم الاخرى فيها ؟ان ذلك يعني ــ عندي ــ غياب الوعي بتكامل القيم ، كما يعني غياب التخطيط في طرحها ، لاننا نحتاج الى تنمية قيم الذكاء والثقافة عند الطفل بالمقدار الذي نحتاج فيه الى تنمية قيمة المعرفة عنده .

هذا ، وان قناعتنا تقول أن تمركز القيم في هذه المجموعة ، ولو كان موزعا على قيمها الثلاث ، ليس في صالح صحافة الاطفال ، لانه يعني محاولتها القيام بالعمل الذي تقوم به المدرسة ، أي انها تكرر الجهد دون حاجة كبيرة الى ذلك وتهمل في المقابل قيما لا يستطيع المنهاج المدرسي الالتفات اليها . والواضح بعد ذلك أن كتاب صحافة الاطفال ما زالوا يعاملون الطفل على أنه دماغ يحتاج الى حشو دائم بالمعارف والحقائق ، والا فما تعليل انصرافهم الى قيمة المعرفة دون غيرها من القيم في المجموعة نفسها ؟.

المرتبة الثانية : القيم الاجتماعية

ان انخفاض عدد قيم هذه المجموعة (٤٠ قيمة) عن عدد قيم المجموعة السابقة هو الذي جعلها تحتل المرتبة الثانية . كما أن انخفاض عدد قيم المرتبة الثالثة عنها جعلها وحيدة في هذه المرتبة مما يشير الى أن كتاب الاطفال قد أعاروا هذه المجموعة من القيم اهتماما ملحوظا ، ولكنه تال للاهتمام بالقيم المعرفية الثقافية . كما يعني ذلك ــ في الوقت نفسه ــ اهمية هذا النوع من القيم وضرورة ترسيخه في الطفل السوري .

الا أن مجموعة القيم الاجتماعية تضم ثماني قيم وقد أشار التحليل الى التمركز التالي الى جانب كل قيمة على حدة :

ــ وحدة الجماعة	٤
ــ الظرف واللطافة	١
ــ قواعد السلوك	٨
ــ التواضع	٢

– المماثلة (التشبه) ٦
– الكرم والعطاء ٥
– التسامح ١
– حب الناس
أ – الجنس الآخر –
ب – الاسرة ٧
ج – الصداقة ٦

الملاحظ أن القيم الاربعين قد توزعت على قيم المجموعة كلها . صحيح ان قيمتي الظرف واللطافة والتسامح قد تمركزت الى جانبهما قيمة واحدة فقط ، الا أن هذا الامر لا يعد هاما أمام الالتفات الى قيم اكثر بروزا في الحياة الاجتماعية السورية كقواعد السلوك والاسرة والصداقة والمماثلة ووحدة الجماعة بل ان الاهتمام بقيمة قواعد السلوك اكثر من غيرها (٨ قيم) يعني انها القيمة السائدة بين القيم الاجتماعية . تليها في ذلك قيمة الاسرة ، مما يؤكد ما هو معروف عن ثقافتنا ومجتمعنا من احترام للاسرة وللعلاقات الاسرية . وتزداد أهمية هذه القيمة حين نتذكر أن دراسات عربية عديدة اعلنت عن ظاهرة ضعف التأكيد على هذه القيمة(١٢) مما يعني أن لدى الكتاب السوريين وعيا بأهمية هذه القيمة ، اضافة الى أن التأكيد على هذه ينسجم والاهداف التربوية السورية الخاصة بتطوير مفهوم الاسرة ودورها في التنظيم الاجتماعي الجديد . ويبقى تعليل بعيد ولكنه وارد في معرض التأكيد على قيمة الاسرة ، هو ان المجتمع السوري لم تؤثر فيه مرحلة التصنيع وما يصاحبها من تحول المجتمع من الاقتصاد الريفي الى الاقتصاد المدني الصناعي .

تلي قيمة الاسرة ضمن ترتيب مجموعة القيم الاجتماعية قيمة الصداقة والمماثلة . أما الصداقة فواضح من سيادتها أن كتاب الاطفال ما زالوا يعدونها قيمة اجتماعية هامة ، وهي كذلك حقا . واما المماثلة فتزداد أهمية سيادتها حين نعي ان دراسات كثيرة أشارت الى ضعف التأكيد عليها ، وحين نعلم انها تعني استقلال شخصية الطفل وعدم تقليده الآخرين تقليدا اعمى .

تشاركها في ذلك قيمة الكرم والعطاء ، من حيث هي قيمة اجتماعية تعد امتدادا للتقاليد العربية الاصيلة التي تحافظ عليها ونميها عند الطفل وقد لاحظ المرء انخفاض الاهتمام بقيمة وحدة الجماعة بما تعنيه من تأكيد على سمات المجتمع العربي الجديد . فقد تمركزت الى جانبها اربع قيم فقط ، مما يشير الى ضرورة تدارك هذا النقص في صحافة الاطفال ، بحيث تسود هذه القيمة على غيرها تبعا لما تعنيه من تشجيع للحركة التعاونية وانشاء الجمعيات وتنمية روح العمل الجماعي المشترك . كما لاحظ المرء خلو قيمة الجنس الآخر من أية قيمة ، وهذا بدهي لان الطفل لا يعرف الجنس الآخر بعد ، ولا يبدو أن كتاب الاطفال يريدون تعريفه به . وهناك اشارات كثيرة الى أن هذه الظاهرة معروفة في أدب الاطفال في العالم كله تقريبا .

المرتبة الثالثة : قيم تكامل الشخصية والترويحية

لم تتوزع قيم تكامل الشخصية على أفراد المجموعة توزعا كاملا . فقد أشار التحليل الى عدم وجود أية قيمة الى جانب التصميم والمظهر والسيادة .

وهذا الخلو نقص واضح فاضح في قيم صحافة الاطفال السورية ، تبعا لاهمية قيمة التصميم بالذات ، وما تعنيه من شجاعة وجلد وجرأة وتحمل للاعباء واجتياز للصعوبات . وباختصار ، خلق المواطن الذي يملك ارادة التغيير ويصمم على مغالبة التحديات التي تواجه بلاده ، تلك الامور التي تعيرها التربية العربية السورية اهتماما كبيرا(١٣) . وفي المقابل أشار التحليل الى تمركز عدد كبير من القيم الى جانب التحصيل والنجاح ، مما يجعل هذه القيمة سائدة في المجموعة ، وهي أيضا ذات اهمية في التربية العربية السورية . ثم ان قيمة العدوان تلي التحصيل في سلم السيادة ضمن هذه المجموعة ولعلها تعكس على نحو او آخر رغبة الكتاب في نفي ظاهرة العدوان من المجتمع السوري ، وبخاصة عدوان القوى على الضعيف ، أو الكبير على الصغير ، وان كانت ظاهرة العدوان بحد ذاتها طبيعية لاخوف منها ان أحس المشرف على الطفل توجيهها

أما القيم الترويحية فاشتراكها ومجموعة قيم تكامل الشخصية في مرتبة واحدة عائد الى العدد

المتقارب من القيم المتمركزة الى جانبهما معا. ويستطيع المرء ملاحظة شيء هام هو سيادة قيمة الخبرة الجديدة والتعبير الذاتي المبدع بين قيم هذه المجموعة بحيث تمركزت اثنتا عشرة قيمة الى جانب الخبرة الجديدة، وثماني قيم الى جانب التعبير الذاتي المبدع. أما الاولى - الخبرة الجديدة - فتؤكد دور صحافة الاطفال الترفيهي، تبعا لما تعنيه من لهو وقضاء أوقات ممتعة، وممارسة هوايات تدفع السأم. وأما الثانية - التعبير الذاتي المبدع - كأهميتها نابعة من تشجيعها الطفل على الاكتشاف والاختراع والتعبير المبدع. والملاحظ أن صحافة الاطفال السورية قد التفتت اليها حين اهتمت بنشر مايكتبه الاطفال وما يرسلونه الى مجلة أسامة (١٤) أوصفحة الطفل في صحيفة البعث. ولا بد لنا من التأكد على استمرار هذا الاهتمام وتطويره، تبعا لاهتمام التربية العربية السورية بتنمية روح الابتكار والابداع عند الاطفال.

ولا بد ايضا من القول ان منابر التأليف الادبي والفصاحة والخطابة والالقاء التي تهتم بها منظمة الطلائع هي المراد من التعبير الذاتي المبدع، وحبذا لو نقل نتاج هذه المنابر الى صحافة الاطفال بغية تعميمها.

المرتبة الرابعة: القيم العملية الاقتصادية والقومية الوطنية والاخلاقية والجسمانية

يشير التحليل الى نقص كبير في الاهتمام بهذه المجموعات، مما يعني ضرورة التفات الكتاب اليها واعارتها مزيدا من العناية. واذا كانت هناك قيم سائدة فيها فهي العمل (تسع قيم) والوطنية (خمس قيم) وحرية الوطن (خمس قيم). والملاحظ أن قيمة العمل قد أعيرت اهتماما لا بأس به، وهذا يعكس ما هو سائد في سورية من أهمية الانتاج والعمل كشيء مرغوب فيه من قبل التربية. واذا كانت قيمة حرية الوطن تعكس ظروف المنطقة في صراعها مع العدو الاسرائيلي، فان قيمة الوطنية تعني حب الوطن والاهتمام بخيره ومصلحته ورفاهيته وتقدمه وصيانة مصالحه وأسراره ووحدته.

والواضح ان هاتين القيمتين تحتاجان الى مزيد من العناية كي تأخذا دورهما في النظام القيمي لدى الطفل.

وبعد، فاذا قمنا بترتيب القيم بحسب سيادتها، وبحسب التعليل الذي أوردناه دون اعتبار للمجموعات ولمراتبها، فاننا نستطيع ذكر القيم التالية على انها القيم السائدة في صحافة الاطفال:

١ —	قيمة المعرفة	٧٨ قيمة
٢ —	قيمة الثقافة	١٤ قيمة
٣ —	قيمة الخبرة الجديدة	١٢ قيمة
٤ —	قيمة التحصيل والنجاح	٩ قيم
	قيمة العمل	٩ قيم
٥ —	قيمة التعبير الذاتي	٨ قيم
	قيمة قواعد السلوك	٨ قيم
٦ —	قيمة الاسرة	٧ قيم

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقد أشار التحليل الى وجود ١٦٦ قيمة صريحة في مقابل ٥٧ قيمة ضمنية، والى وجود ٢٠١ قيمة ايجابية في مقابل ٢٢ قيمة سلبية بمعنى أن كتاب صحافة الاطفال يطرحون قيمهم بشكل مباشر صريح، وهذا الاسلوب المباشر في التوجيه القيمي (أسلوب الوعظ والارشاد) يتنافى ومعطيات أدب الاطفال والتربية، تلك المعطيات التي تؤكد على ضرورة توجيه الطفل توجيها غير مباشر (ضمني) كي يكون هذا التوجيه اسلوبا تربويا ناجحا. ثم ان الطفل يرفض هذا الاسلوب وينفر منه، لانه يعي أن هناك كبيرا يحاول تعليمه ونصحه، مما تشير الى ضالة اهتمامه بالقيم المطروحة عليه عن طريق الصحافة. على أن الامر ليس خطيرا الى هذه الدرجة تبعا لاهتمام هذه الصحافة بالقيم الضمنية (٥٧ قيمة) وعدم اهمالها لها. والمطلوب هو الاكثار منها في مقابل اطراح القيم الصريحة، أو التقليل منها. واذا كان هناك تعليل لكثرة القيم الصريحة فهو سهولة طرحها من قبل الكتاب، في مقابل صعوبة طرح القيم الضمنية، أي ان الكتاب يميلون - عموما - الى السهولة في أثناء

الكتابة للطفل ، وانهم لم يأخذوا هذه الكتابة - بعد - مأخذا جيدا بحسب ما تستحقه منهم .

أما اذا نظرنا الى القيم نفسها من حيث السلب والايجاب فاننا سنلاحظ ارتفاع القيم الايجابية وانخفاض القيم السلبية انخفاضا كبيرا (٢٢ قيمة سلبية) . وهذا يعني أن كتاب صحافة الاطفال واعون لاهمية القيم في الطفل ، مدركون لما هو ايجابي فيها ، وما ينقصهم - في الغالب - هو طريقة ايصال هذه القيم ، أو طرحها في النصوص المقدمة للاطفال .

التأكد من صحة النتيجة ومقارنتها

حاولنا التأكد من صحة النتيجة التي وصلنا اليها عن طريق اعادة ترتيب تمركز القيم الى جانب المجموعات في كل سنة على حدة . فبرزت قيمة المعرفة في السنوات كلها ، وكان بينها وبين القيمة التالية فارق كبير . وقد توضعت قيمتا الخبرة الجديدة والثقافة في المرتبة الثانية . وهذا الامر هو نفسه الترتيب الذي طرحته النتيجة . فقيمة المعرفة لا تنازعها قيمة أخرى ، كما أن قيمتي الخبرة الجديدة والثقافة تحتلان المرتبتين الثانية والثالثة مع فارق ضئيل بينهما . الا أن محاولة التأكد تحتاج - في الحقيقة - الى واحد من أمرين : اختيار عينة أخرى ودراستها ، أو عرض العينة المختارة على دارسين آخرين لمعرفة النتيجة التي يخرجون بها ومقارنتها بالنتيجة التي وصلنا اليها . صحيح اننا لم نقم بأي من هذين الامرين ، الا اننا قمنا بعملية مقارنة نتيجة الدراسة الحالية بنتيجة دراسة أخرى للقيم في قصص الاطفال السورية ، كنا قمنا بها منذ فترة ونشرت في مجلة الموقف الادبي(١٥) . وقد دلت عملية المقارنة على سيادة قيمة المعرفة دون أي منازع في عدد القيم المتمركزة الى جانبها . وهذا يعني استمرار سيادة النظرة الخاصة القائلة ان الطفل دماغ ينبغي حشوه بالحقائق والمعارف ، ويعني أيضا تجديد التحذير من ازدواجية العمل ، لان قيمة المعرفة تؤديها المدرسة في حين تستطيع القصص والصحافة أداء عمل تعجز المدرسة عن ادائه، ولكنها لا تقوم بما هو مطلوب منها ، بل تؤدي عمل المدرسة نفسه . كما دلت المقارنة على خلخلة في المراتب التالية لرتبة المعرفة ما عدا التأكيد على القيمة الاجتماعية وعلى وحدة الجماعة بالذات ضمن هذه القيمة . وتعد القيمة القومية الوطنية على رأس القيم التي رأيناها سائدة في قصص الاطفال ومنحسرة في صحافتهم

وهذا الامر يؤكد ما سبق لنا قوله من ضرورة العناية بهذه القيمة في صحافة الاطفال .

الا أن الامر الهام هو أننا نلاحظ قيمة يجرى التأكد عليها في القصص ، وقيمة أخرى يجرى التأكيد عليها في الصحافة دون وجود أي تكامل بينهما في عملية طرح القيم ، مما يشير الى نقطة اخرى مررنا بها وهي غياب التخطيط والبرمجة في عملية التوجيه القيمي .

أسمح لنفسي بالقول أن القيم مشكلة معقدة، لان أمرها غير مقصور على تسخير الموضوع أو النص لخدمة القيمة المطروحة فيه ، أو التي يرغب الكاتب في طرحها بل يتعلق أمر القيم بوصولها الى الطفل أو عدم وصولها اليه . ولا بد من التذكير بأن هناك فارقا كبيرا بين وجود القيمة في النص ووصولها الى الطفل ، وبالتالي علينا بذل مزيد من الجهد في عملية التوجيه القيمي . كما أننا نحتاج الى دراسات خاصة نسبر فيها ما اذا كانت القيم قد وصلت الى صاحبها المتلقي أو أنه ما زال بعيدا عنها ، وباختصار نحتاج الى دراسات وافرة لعملية الفن والايصال بالذات ، مما يخرج عن نطاق حديثنا اليوم .

الملاحق

جدول رقم ١
نتائج تحليل نصوص مجلة أسامة لعام ١٩٧٧

اسم المجموعة	صريحة	ضمنية	ايجابية	سلبية	العدد
المعرفية الثقافية	٣٥	٢	٣٧	—	٣٧
تكامل الشخصية	٦	٢	٥	٣	٨
الاجتماعيـة	٤	٢	٤	٢	٦
الترويحيـة	٢	٣	٤	١	٥
العملية الاقتصادية	٣	١	٤	—	٤
الجماليـة	١	١	١	١	٢
التربية الوطنية	١	—	١	—	١
الأخلاقيـة	—	—	—	—	—

جدول رقم ٢
نتائج تحليل نصوص مجلة أسامة لعام ١٩٧٨

اسم المجموعة	صريحة	ضمنيـة	ايجابيـة	سلبية	العـدد
المعرفية الثقافية	١٦	١	١٧	—	١٧
الترويحيـة	١٠	١	١١	—	١١
الاجتماعية	٣	٣	٤	٢	٦
التربية الوطنية	٣	١	٤	—	٤
تكامل الشخصية	١	٢	٢	١	٣
الأخلاقيـة	٢	—	٢	—	٢
العملية الاقتصادية	١	١	٢	—	٢
الجسمانية	١	—	١	—	١

جدول رقم ٣
نتائج تحليل نصوص مجلة أسامة لعام ١٩٧٩

اسم المجموعة	صريحة	ضمنية	ايجابية	سلبية	العـدد
المعرفية الثقافية	٢٤	٢	٢٦	—	٢٦
الاجتماعية	١٢	١	١٣	—	١٣
الترويحية	٧	١	٧	١	٨
تكامل الشخصية	٤	١	٣	٢	٥
العملية الاقتصادية	٢	—	—	٢	٢
الأخلاقية الوطنية	١	—	١	—	١
التوعية الوطنية	١	—	١	—	١
الجسمانية	—	—	—	—	—

جدول رقم ٤
نتائج تحليل نصوص صفحة الطفل في صحيفة البعث لعام ١٩٧٩

اسم المجموعة	صريحة	ضمنيـة	ايجابية	سلبيـة	العدد
المعرفية الثقافية	١٣	٤	١٧	—	١٧
الاجتماعية	٣	١٢	١٢	٣	١٥
تكامل الشخصية	٤	٩	١٠	٣	١٢
التوعية الوطنية	٢	٢	٤	—	٤
العملية الاقتصادية	١	٢	٣	—	٣
الأخلاقية	١	١	٢	—	٢
الجسمانية	٢	—	١	١	٢
الترويحيـة	—	٢	٢	—	٢

الهوامش

١ ـ هناك مجلة اسمها « تعال نقرأ » تصدر في حماة باشراف القاص نزار نجار ، ولكنها غير دورية ، اضافة الى أنها لم تنتشر بعد انتشارا واسعا . كما أن هناك صفحة للطفل كانت صحيفة تشرين قد أصدرتها بمناسبة العام الدولي للطفل ثم توقفت . وقد صدر عددها الاول في ٢١-١-١٩٧٩ وعددها الاخير في ١٤-١٠-١٩٧٩ ، وكان مجموع أعدادها الصادرة خمسة وثلاثين عددا .

٢ ـ ان التدقيق في الدراسات التي حللت محتوى صحافة الاطفال يشير الى أن ثلاثة اصدارات كافية لتمثل اثنين وخمسين اصدارا . انظر القيم السائدة في صحافة الاطفال العراقية ـ خلف نصار محيسن الهيتي (وزارة الثقافة والفنون ـ بغداد ١٩٧٨) ـ ص ٤٣ وقد اعتمدنا على دراسته في أجزاء لا بأس بها من هذه الدراسة ، وبخاصة في المنهج العام .

٣ ـ الاعداد المختارة من عام ١٩٧٧ هي الاعداد من ٢٠٨ ـ ١٢٤ ، ومن عام ١٩٧٨ الاعداد من ٢٣٣ ـ ٢٣٨ ، ومن عام ١٩٧٩ الاعداد من ٢٥٥ ـ ٢٦٢

٤ ـ صدر العدد الاول من صفحة الطفل في صحيفة البعث في ١٨-١-١٩٧٩ ، وما زالت مستمرة في الصدور حتى زمن اعداد هذه الدراسة (نيسان ١٩٨٠) . وقد صدر من الصفحة خلال عام ١٩٧٩ ستة وأربعون عددا ومن المصادفات أن تطبع الصفحة بالاسود والابيض في أعدادها الخمسة والثلاثين الاولى ثم تتحول بعد ذلك الى الطباعة الملونة ، وهذا الرقم (٣٥) يطابق الرقم الذي وقفت عنده صفحة الطفل في صحيفة تشرين .

٥ ـ انظر القيم السائدة في صحافة الاطفال العراقية ـ ص ٧ ـ ٨

٦ ـ انظر تفصيلات هذه القيم في مناهج المرحلة الابتدائية السورية ـ وزارة التربية ـ دمشق ١٩٧٣ ـ ص ٣٤

٧ ـ صنع هذا التطوير خلف نصار محيسن الهيتي في كتابة القيم السائدة في صحافة الاطفال العراقية ـ ص ٥١

٨ ـ اعتمدت ـ هنا ـ على القواعد التي وضعها خلف نصار محيسن الهيتي في كتابة المذكور سابقا ـ ص ٦٤ ، وأهملت منها ما وجدته غير ملائم لطبيعة الدراسة الحالية ، تبعا لاختلاف حيثيات الدراستين ومنهجهما الخاص .

٩ ـ انظر القيم السائدة في صحافة الاطفال العراقية ـ ص ٦٥

١٠ ـ نفسه ـ الفصل الثاني .

١١ ـ تتنوع النتائج بين مادية واجتماعية وداخلية وآلية .

١٢ ـ انظر القيم السائدة في صحافة الاطفال العراقية ـ ص ٩٧

١٣ ـ نفسه ـ ص ١٠٤

١٤ ـ لاحظ التقليد الذي تسير عليه مجلة أسامة حين تنشر في كل عدد بابا عنوانه « أصدقاء أسامة يكتبون » .

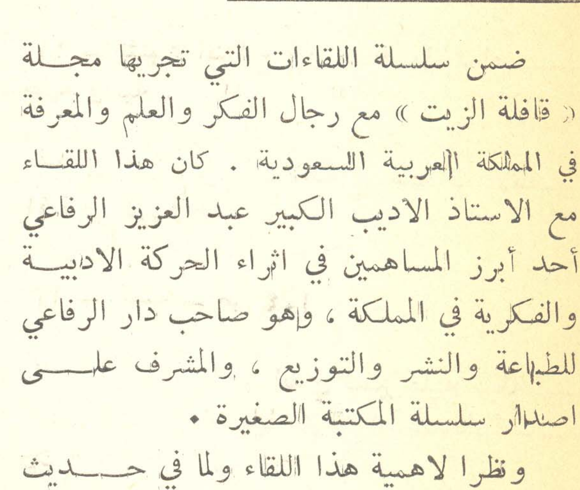
١٥ ـ العدد ١٠٧ ـ ١٠٨ ، آذار ـ نيسان ١٩٨٠

حمص ـ سمر روحي الفيصل

لقاء مع

الأستاذ

عبد العزيز الرفاعي



ضمن سلسلة اللقاءات التي تجريها مجلة «قافلة الزيت» مع رجال الفكر والعلم والمعرفة في المملكة العربية السعودية. كان هذا اللقاء مع الاستاذ الاديب الكبير عبد العزيز الرفاعي أحد أبرز المساهمين في اثراء الحركة الادبية والفكرية في المملكة، وهو صاحب دار الرفاعي للطباعة والنشر والتوزيع، والمشرف على اصدار سلسلة المكتبة الصغيرة.

ونظرا لاهمية هذا اللقاء ولما في حديث الاستاذ الرفاعي من افادة. رأت مجلة الثقافة اعادة نشره نقلا عن الزميلة «قافلة الزيت».



● في البدء لا بد أن نتحدث عن تجربتكم في الادب وفي الحياة لنعطي القراء فكرة عن حياتكم الثقافية، والاجتماعية بشكلها الاعم، فهل لكم أن تحدثونا عن هذا الجانب؟

□ الواقع انني شعرت بميل الى الادب في سن مبكرة، ربما بعد العاشرة بقليل.. بدأت الهواية عندي بالتعلق بالقصص الشعبي. كانت هناك كتيبات صغيرة رخيصة الثمن — لا تجهد جيب طالب صغير.. الكتاب يباع بنصف قرش. في هذه الكتب قصص الف ليلة وليلة وغيرها. وكانت تستهويني. وكنت أحاول ان أوفر من مصروفي.. كان هذا في المرحلة الابتدائية وهي مرحلة مبكرة

ثم تطور الامر الى مرحلة أعلى قليلا وهي العناية بالقصص الشعبي.. كقراءة ألف ليلة وليلة في

حجمه الكبير أو قراءة كتب شعبية مثل عنترة بن شداد والزير سالم .. والاميرة ذات الهمة . وهي قصص كانت تستهويني كثيرا . وانتقلت من قراءة القصص الصغيرة الى قراءة المطولات.. وكانت بعضها لا تتيسر الا بالاعارة .

بعد ذلك استهوتني الروايات الغربية المترجمة . فقرأت الكثير منها وبين هذا الكثير روائع الفكر الغربي (شكسبير — بلزاك — اناتول فرانس — دلماس) ولكثير من هؤلاء .. وللاسف لا احسن أية لغة أجنبية ولكن عن طريق هذه القصص قرأت الكثير؟ من روائع الادب الغربي ، وكانت هذه القصص ايضا معقولة الثمن ميسورة ، واستهوتني ايضا .. بدأ تعلقي بالادب عن طريق القصة — قريب من هذه المرحلة انتقلت الى مرحلة اخرى وهي قراءة القصص التي كانت تنشرها (مجلة الرسالة) وكما تعلمون أن هذه المجلة — مجلة أدبية راقية وكانت تنشر الكثير من روائع الفكر العربي .. وكنت استعيرها من بعض الاخوان ، فبدأت أقرأ فيها القصص وما يتعلق بها وعن طريقها أحببت كتابات : زكي مبارك ، وكان ينشر (الليلة المريضة في العراق) وهي مزيج من القصة — والادب والشعر — وكانت تستهويني ، وقرأت للرافعي وكان ينشر قصصا اسلاميا جيدا — عن طريق هذين قرأت للزيات ثم توالت قراءاتي لمجلة الرسالة واشتركت فيها ، بعد ذلك .. قرأت الثقافة واستطعت أن اكتب بعض الاشياء في هاتين المجلتين . وكانت كتاباتي تنشر في بريد القراء وهو بريد أدبي . كأي نشاط لشخص ما لا يعرف عنه شيء .. ومن هذا الطريق بدأت مرحلتي في الادب .. وهي مرحلة الشخص العاشق المحب .. لا مرحلة العطاء لانني اعتبر نفسي حتى الآن أنني لم اوجد شيئا ولم أعط شيئا يستحق الذكر . هذا فيما يتعلق بمرحلتي في الادب .

الناحية الثانية هي مرحلة الحياة الاجتماعية ، ولدت عام ١٣٤٢ هـ في مدينة صغيرة على ساحل البحر الاحمر ، اسمها (أملج) وكان والدي يعمل موظفا في الجمارك ويتنقل بين مدن الساحل — فتارة في أملج — وتارة في ضباء وتارة في العقبة عندما كانت العقبة تابعة للحكومة الهاشمية .

ولدت في هذه المدينة وانتقلت منها وأنا طفل ولست أعرف عنها شيئا ولا عن غيرها من مدن الساحل . ومن حسن حظي انني عندما بلغت مرحلة التعليم استقرت أسرتي في مكة — وكان هذا زمن مناسب لتلقي العلم ، فقطعت المرحلة الابتدائية وتخرجت أوائل عام ١٣٦٠ هـ . وواصلت الدراسة ودخلت المعهد العلمي السعودي ، وكانت الدراسة فيه ثلاث سنوات ثم تخرجت منه وخرجت الى الحياة العامة — وليس وراء ذلك شيء .

● ماذا عن الاعمال والمراكز الوظيفية ؟

□ أعمال وظيفية كثيرة منها فترة في وزارة المعارف وبعدها في دوائر النيابة عندما كان الامير فيصل نائبا لجلالة الملك في الحجاز وعملت في ديوان جلالة الملك فيصل بعد أن اصبح ملكا .. ثم انتقل عملي الى الديوان الملكي مستشارا ولا زلت أعمل في هذا الديوان .

● لكم مشاركات عديدة في حياتنا الثقافية . كمتذوق وناقد ومؤرخ فأي هذه المجالات تجدون انكم قدمتم من خلالها ما يتجاوب مع استعدادكم النفسي ويتجاوب مع احتياج واقعنا الثقافي ؟

□ (تعجبني كلمة متذوق جدا) ربما أنني لم أنجح في شيء — كما نجحت في مسألة التذوق هذه . والحق انني تذوقت الادب ولا زلت أتذوقه ولم أنجح في النواحي الاخرى كناقد ، ومحاولاتي في النقد قليلة جدا ، ولست اعتبر نفسي مؤرخا ايضا . وربما تكون أصح الصفات أنني متذوق وهاو .

● لا بد أن نقف امام أحد ابرز نشاطاتكم الثقافية ونتحدث عن هذا الجانب . ذلك هو تجربة النشر عبر نشاط المكتبة الصغيرة كدار نشر — والاسئلة المطروحة حولها : ماهي الدوافع لمثل هذا العمل ؟ وماتقويمكم لمدى الفعالية الثقافية التي قدمها مشروع المكتبة الثقافية الصغيرة ثم ما هي طموحاتكم ومشروعاتكم المستقبلية وما هي العقبات التي تواجهونها ؟

□ مشروع المكتبة الصغيرة في واقعه — لم يكن

في البداية تفكير في إيجاد دار نشر ولاباس في قص القصة :

كنت أشعر أن هناك لا توازن بين حقيقتين ، الحقيقة الاولى : أن هناك مجهودات أدبية جيدة جدا ، بدأت منذ عهد النهضة ، وصدور جريدة الحجاز التي أصبحت فيما بعد البلاد السعودية ثم أصبحت جريدة البلاد ، وفي جريدة أم القرى حصلت على المجلات والصحف المحلية الصادرة وكان هناك نتاج أدبي كبير ، وكانت هناك ثورة شعرية وكانت هناك كتابات جديدة في حقل النثر وكانت هناك محاولات قصصية ومحاولات في تاريخ الادب . يقابل هذه الحقيقة من ناحية أخرى عدم وجود أي كتاب يمثل كل هذه المظاهر الادبية الا نادرا مثل وحي الصحراء ، ونفثات ، بأقلام بعض أدباء الحجاز ، أو كتاب المعرض وهذه كلها لم تغط الجوانب الزاخرة الكثيرة للادب كما هو في المملكة العربية السعودية قبل عشرين أو ثلاثين سنة . وكانت هذه الحقيقة المؤسفة تساور عددا كبيرا من الشباب وكنت واحدا منهم ، وسأقص عليك : أننا فكرنا جديا كشباب حديثي التخرج من المدارس ونلمس الحاجة الملحة الى ايجاد الكتاب السعودي .. ولكن هذا لم يكن ميسورا لاسباب عديدة منها عدم وجود دور نشر ولا مطابع كافية وعدم وجود وسائل مغرية للناشر أو الطابع ، لكننا استطعنا من عشرة أشخاص شباب ، والضمام بعض شيوخ الادب الينا ، أن نكوّن لجنة اسمها : لجنة التأليف والترجمة والنشر .. وهو اسم كبير — ولكن طموح الشباب كان كبيرا — ورأينا ان هذه اللجنة تستطيع أن تعمل شيئا كالمشابهة التي كونت في مصر والتي أسسها أحمد امين فيما اذكر ، واجتمعنا نحن الشباب ومن انضم الينا في حدود عشرة اشخاص واخذنا من كل فرد ١٠٠ ريال لنكون مبلغ ١٠٠٠ ريال وكان هذا المبلغ ليس هينا . وبدأنا عملية نشر لا نريد من وراءها ربحا ولا جزاء .. فأردنا لهذا المشروع ان يبقى ويستمر ويرفع الراس ثم بدأنا باصداراتنا واصدرنا رواية طويلة اسمها « فكرة » للكاتب السعودي احمد السباعي وأصدرنا كتابا آخر هو « ماذا في الحجاز » ونريد به الحركة الفكرية والادبية وأصدرنا كتابا ثالثا تراثنا هو « الاعلام في اخبار البلد الحرام » واشتركت في تحقيقه مع الاستاذ أحمد جمال ثم توقفنا بعد ذلك لاسباب مالية ولم نستطع مواصلة السير ، وظلت فكرة النشر الهادف وليس الطامح الى مادة — او ربح — تراودني بالحاح ، وكتبت مرة في جريدة البلاد — أدعو الى تشكيل هذا المشروع ممثلا في كتب صغيرة تنشر الفكر والادب بين الناس ، واذكر ان اللجنة التي كانت تراودنا قد اطلق عليها اسم عامي مثل « عيلمة » او من هذا القبيل . وتحمس للفكرة الاستاذ عبد الله جفري وكتب فيها وجمعنا شيئا من النقود — ولكن الفكرة لم تستطع ان تخرج الى الوجود لاسباب كثيرة . كانت الفكرة ولا زالت تلح علي باصرار ، ورأيت ان العمل الجماعي قد لا يحقق ما نريد على النحو الذي أصبو اليه فقررت العمل بمفردي الى الحد الذي استطيعه .

وبدأت فكرة انشاء المكتبة الصغيرة وهي فكرة هاو للنشر وليست دار نشر كما تعلمون . بدأت بمحاضرة ألقيت في مؤتمر الادباء في بغداد ، المؤتمر الرابع ١٣٨٩ هـ وتلاها مقال كبير نشر في مجلة قافلة الزيت بعنوان (جبل طارق والعرب) اضفت اليه بعض الزيادات وكان هذا الكتاب الثاني ثم نشرت جزءا من الرحلة (رحلتي الى الشرق الاقصى) بعنوان « خمسة أيام في ماليزيا » ثم عن لي البحث تراثيا عن كعب بن مالك وكان هذا كتابا رابعا ثم دخل الى المكتبة الاخوة المتعاونون من الشباب حتى وصلنا الى العدد ٣١ من هذه السلسلة وهي سلسلة متواضعة وتعمل في أضيق الحدود وليست لها الشهرة الكبيرة . وهذه قصة المكتبة الصغيرة ، والدافع التي دفعتني اليها .

أما من ناحية هذا العمل ومدى الفعالية الثقافية له فبودي ان يقوم بعملية التقديم آخرون وهم أقدر مني — لكنني أعرف تماما عيوب هذه السلسلة وماذا ينقصها وأنا اعتقد انها لم تحقق حتى الآن الفعالية الثقافية التي أريدها لها .

صحيح انها انتشرت الى حد ما ، وصحيح انه شارك فيها اخوة من كبار الكتاب والادباء في مصر والعراق ، وربما في الطريق من البحرين ، والكويت وغيرها من البلدان العربية ، ولكن : هذا لا يمثل الفعالية الثقافية التي أريد لها لانها لا تنتشر في خارج المملكة بل لا تنتشر داخل المملكة على النحو المطلوب ، وهذا ايضا يتطلب تضافر عدة جهود (بقدر ما يتسع لذلك وقتي .. وهو ضيق للاسف)

ربما استطيع في المستقبل أن احقق بعض أمنياتي لهذه السلسلة وربما أعطيها زخما أكبر — لكن هذا يظل حتى الآن مجرد أمل . اما العقبات التي تصادفني في هذا المشروع فيأتي في مقدمتها المطابع . واحب القول أن هذه السلسلة قد وجدت تشجيعا كبيرا في شتى الاوساط واستطاعت المكتبة بفضل الله ثم بفضل هذا التشجيع ان تصمد في وجه كثير من العراقيل ، وآزرتها عدة جهات رسمية ، عن طريق الشباب ، وآزرها بعض الشباب المتحمسين ، وآزرها بعض الكتاب الذين ساهموا في تحرير هذه السلسلة لكن برغم كل ذلك أنها دون طموحاتي بكثير جدا .

العقبات التي تحول دون تطوير هذه السلسلة ، كثيرة ومنها : المطابع كما ذكرت فهي في بلادنا مزدحمة جدا ، وتشغلها أسباب تجارية — وحكومية ومع ذلك فان هناك من الاخوان من يتحمس لطبع هذه السلسلة — واعتقد أنه يضحي في سبيلها .

● من هذه النقطة نتطرق الى فقرة اضافية حول تقويم حركة النشر والتأليف في المملكة في ضوء تجربتك في المكتبة الصغيرة .

□ من حسن الحظ أن حركة التأليف والنشر بدأت تزدهر ، ويسرني جدا أن تقوم مؤسسة وطنية بهذا النشاط وان تصدر اصدارات جيدة ، وهذا شيء جميل — كما قامت الاندية الادبية في مختلف مدن المملكة بنشاطات جيدة في حركة النشر ، لعل ابرزها نادي الطائف ، وقام نادي الرياض بنشاط كبير أيضا — والذي يصدر سلسلة كتاب الشهر .. وهناك دور نشر في الرياض تساهم في حركة النشر مساهمة جيدة والنوادي الادبية في بقية أنحاء المملكة أخذت تصدر اصدارات جيدة بلا شك وهذا يثلج الصدر ، ويبشر بخير كثير ان شاء الله .

● حول اهتماماتكم بالدراسات التاريخية نذكر انكم طرحتم فكرة مهمة مؤداها التشكيك في صحة اسم خولة بنت الازور ، ونحن هنا نود القاء الضوء على المنهج الذي اتبعتموه في هذه الفكرة . هذا جانب أول ، أما الجانب الآخر فلقد سمعت من الاستاذ عبد الله نور أن المرحوم الاستاذ العواد قد طرح هذا الشك حول وجود هذه الشخصية التاريخية فما تعليقكم على جملة ما طرح في هذا السؤال ؟

□ ما كتبته عن خولة بنت الازور كان اكتشافا بالمفاجأة ولم يكن نتيجة خلفية قديمة او معلومة بالنسبة لي ، ولهذا قصة أقصها عليك :

من ضمن اهتماماتي التراثية — بدأت اكتب عن بعض الشعراء الصحابة وكتبت عن كعب بن مالك في العدد الرابع من سلسلة المكتبة الصغيرة ، ثم بدا لي أن اكتب عن ضرار بن الازور ، فقد دعيت من قبل بعض الشباب في النادي الرياضي بعنيزة لالقاء محاضرة .. فطرحت على نفسي سؤالا : عن أي شيء أتحدث ؟ التوجيهات وقد سبقني اليها كثيرون — طرأ لي أن أكتب شيئا عن بعض الابطال في منطقة القصيم أو ما يقرب منها . أخذت انبش في الكتب التراثية واستهوتني شخصية ضرار بن الازور فعقدت العزم أن اكتب عنه .. وكان يعيش في منطقة قريبة من القصيم وهو شاعر وبطل وفارس وهذه السمات لعلها تستهوي الشباب — فكتبت محاضرتي عن ضرار بن الازور وفي اثناء البحث عن المحاضرة طرأ لي أيضا ان اكتب عن شخصية شعرية جيدة هو أرغأة بن سهيل وهو شاعر معروف في بداية العهد الاموي وله وزن ايضا وفصيح يستشهد بأقواله ، واكتشفت في البحث أن هذا الرجل هو ابن ضرار ابن الازور نسب الى أمه في قصة طويلة فرأيت أن اتحدث الى الشباب عن ضرار وعن ابنه أرطأة وفي أثناء البحث جاء ذكر خولة بنت الازور على انها أخت ضرار ، وحتى كتابة التاريخ « تاريخ المحاضرة » لم أتوقع أن اكتشف ما اكتشفت فيما بعد — وعندما عدت الى المحاضرة رأيت أن اعيد النظر فيها تمهيدا لطبعها في السلسلة ، ورجعت الى مصادر عديدة وقمت بالبحث واستعرضت حياة ضرار في جميع المصادر التي استطعت الحصول عليها فلم أجد في أي مصدر أي كلمة عن اخته خولة اطلاقا . واستلفت هذا نظري وبدأت أشك في خولة من هذا المنطلق . والكتاب الوحيد الذي كان يذكر خولة — هو كتاب (فتوحات الشام) وهذا أقرب الى العامية والى الادب الشعبي الصالح للعوام والتمست كثيرا من المصادر والمراجع كي أبحث عن هذه الشخصية : والبحث أوقفني على حقيقتين احدهما اكتشافين :

أولا — أن أرطأة بن سهيل هو ابن ضرار وربحنا مكسبا .

ثانيا — أن خولة بنت الازور ليست أختا لضرار واذن فقد خسرنا شخصية تاريخية وبحثت في المراجع

بحثا عكسيا .. (من اين أتت قصة خولة) ؟ رجعت الى الزركلي في كتابه الاعلام وهو خير قاموس يدل الى المراجع فوجدته يشير الى كتابين : فتوح الشام والى الدر المنثور في أخبار ربات الخمور الزينب العاملية وتوفيت منذ خمسين سنة ، وتعبت في الحصول عليه حتى استطعت الحصول على نسخة منه وفوجئت ان مصدر هذا الكتاب هو فتوح الشام، اذن الزركلي يأخذ عن العاملية وعن فتوح الشام ، والعاملية تأخذ عن فتوح الشام . بحثت أي مصدر قديم يتحدث عن خولة غير فتوح الشام فلم أجد . وفتوح الشام يقول عنه ، الزركلي نفسه – انه من تأليف الواقدي ولا يصح أن ينسب اليه فاذن هو يشكك فيه ، والباحثون الذين يشككون في هذا الكتاب كثيرون .

وحتى الاسلوب يكاد يصل الى العامية فهو أسلوب مسجوع وليس من الواقدي ولا من كتاباته فهذا الكتاب مطعون ومشكك فيه ، ومليء بالخرافات الكثيرة الاسد ، واشياء لاتصدق .. ولا يؤخذ بها . ثم رجعت الى كتب أخرى مثل الاصابة –رجعت اليها .. طبعا خولة بنت الازور صحابية رغم ان أخيها صحابي .. والاصابة من دأبه التحدث عن الصحابي ومن يقترب من الصحابة فوجدت انه لم يتحدث عنها . أما الكتب التي وجدتها تتحدث عن التابعين والتابعات لا تتحدث عن خولة ورجعت الى القواميس ، والى تاج العروس ووجدته يقول – الخولات تسع أو عشر ويعطي احصاءا رسميا لا يذكر خولة بنت الازور ، اذن تأكد عندي بالفحص وبالصدفة منذ البداية أن خوالة بنت الازور ليس أنها وجود حقيقي الى الحد الذي بلغته أنا . وتجمعت هذه الافكار عندي كلها .. ومراجعها . ولم أجد الوقت لكتابة البحث .. وبالصدفة ذهبت الى لندن قبل خمس سنين لاجري عملية استئصال المرارة .. وفي دور النقاهة لم أجد عملا فأخذت ورقة وقلما وكتبت خولة بنت الازور والمراجع لدي محصورة ومعروفة ولا ينقصها شيء . والفرصة متاحة بلا مشاكل وكتبته ولم أكن متأثرا بمعلومة جديدة ولا قديمة ولكنها الصدفة التي ساقتني الى هذا . فاذا كان لاستاذ عبد الله نور يعتقد أن الاستاذ العواد قال بهذا فلا استبعد لاني لا أدعي الاولية .. ولكن هذا لم يخطر ببالي . والشخص الوحيد الذي سمعته يشكك في وجود خولة ، هو رجل فاضل صاحب مكتبة في دمشق .. وكنت أسأله عن مراجع خولة وقال الي متسائلا : وهل لخولة وجود ؟ وأشرت الى هذا الاسم في نفس البحث وهو الشيخ احمد عبيد ، أديب وباحث وصاحب مكتبة وهذه قصة خولة .

اما عن كتابتي ببعض الاغاليط الموجودة في تاريخنا ، اذكر لك بعض الاشياء : ماذا تعرف عن الحطيئة ، الحطيئة ، شاعر حجة والمؤرخون فيما سبق قالوا أن الحطيئة رجل لا أخلاق له وهو لا يتمتع بوفاء ولا قيم واكتشفت أن الرجل يتمتع بفضيلة الوفاء ، وكتبت بحثا في سلسلة بحوث أكتبها بعنوان « أنابيش » تراثية » وكتبت عن وفاء الحطيئة وهذا عكس ما اصطلح عليه الناس ، وهذا من انطباعاتنا الخاطئة في تاريخنا عن بعض الاشخاص وهذا بحث آخر بعنوان (أيهما ملاعب الاسنة) المشهور في تاريخنا الادبي القديم ؟ ان ملاعب الاسنة هو : عامر بن مالك – من بني عامر – وأنه كان مشهورا باللعب بالرمح والقدرة على القتال بهذا السلاح فسمي بلاعب الاسنة .

عرفت أن هناك من ينازعه في هذا اللقب وهو ابن أخيه ، او ابن أخته – عامر بن طفيل العامري ، فوجدت من المؤرخين – من ينسب اليه هذا اللقب وكتبت في تحقيق هذه النقطة – وهو نمط من ابحاثي عن اغلاط التاريخ – ولم افكر في نشرها حتى الآن وآمل نشرها مستقبلا .

● أنت ممن يقدرون أدب الشباب نود ان تعطينا تقويما عاما لحركة الشباب في ساحتنا الادبية ، وما هي توقعاتك لتطور الالوان المستجدة كالشعر الحديث وبعض اشكال القصة القصيرة . على المدى الطويل من نماء أو موت ؟

□ أنا احترم الشباب – وأشجعهم وارتاح لادبهم وأشعر شعورا عميقا انهم المستقبل ، والباب كل أمة ومادتها الحقيقية هم الشباب ولا أستطيع مع الاسف أن اقوم ادب الشباب تقويما حقيقيا لان اطلاعي عليه محدود – ولان قراءاتي في الوقت الحاضر

أصبحت معدومة جدا ولكن .. أتيحت لي بعض الفرص فقرأت شيئا من اشعار الشباب وقرأت شيئا من قصصهم ، هناك تطوير جيد للقصة ومفاهيم جديدة ــ وصور ابداعية في القصة والشعر ــ تدل الى أنهم يملكون قوى ابداعية جيدة ، لكنني اود في هذه الناحية أن لا تطغى ظاهرة التقليد على انتاج الشباب حتى لا يبتعدوا عن مجتمعهم وعن تراثهم وأن يكونوا مفهومين لا في الوسط الشبابي وحده ، بل مفهومين على المستوى الشعبي لان الادب ينبغي أن يطرح على قاعدة عريضة من الناس والشباب ولا يستطيع ان يؤثر في الامة اذا كان يكتب لذاته أوالى مجموعة محدودة . ربما كان في الادب الجديد اغراق في استعمال اللغة ــ او الافكار او كثرة استعمال الرمز ، كمظهر من مظاهر الابداع ولكن ما مدى استجابة الجمهور القارىء لمثل هذا ؟ ثم ما مدى التأثير الذي هذا الجمهور .. الكاتب يحسن أن يكون صاحب رسالة أو مهمة يؤديها لجمهوره ، واذا لم يستطع الشاعر أن يحمل هذه الرسالة فهو لن يخلد ، وهو يخلد اذا كان مفهوما ومقروءا .. وهي ناحية أشدد عليها وأرجو أن ينتبه لها الشباب ، وان لا يغرقوا في أساليبهم ، ولا تعابيرهم واذا استطاعوا ان يفعلوا ذلك فهم يمهدون لنا السبيل نحن الشيوخ القراءاتهم ــ واستطاعوا أن يجتذبوا عددا كبيرا من القراء ، وأن يكونوا مفهومين ، وأن يطرحوا افكارا اجتماعية جيدة ، والاديب ينبغي ان يكون صاحب رسالة الى الحد المستطاع ولا أقول انه مفروض على كل أديب لانه صعب التحقيق ولكن لنحقق هذه الغاية اذا أردنا ان ننهض بأمتنا . وهذا رأيي .

● **هذه المشكلة تطرح دائما بين الشباب انفسهم وبين من يتواصل معهم من رواد الادب في بلادنا ولكن تطرح مسألة أخرى أ هو أن هناك من يلجأ الى الرمز أحيانا لانه لا يستطيع أن يعبر بدقة عن نقطة او عن انتقاد أو اقتراح تحول دونه بيئتنا وأحيانا تقاليدنا ــ وأحيانا وضعنا الاجتماعي ــ فهذه مشكلة من المشاكل ، ويلتمسون العذر من الآخرين لهذه الاسباب لكن البعض كما تفضلت يغرقون ويخرجون خارج الواقع والحمد لله فالكثير من هؤلاء الشباب يرفض الغموض ذاته .**

□ اعرف هذا جيدا ــ ولكني مع ذلك أرى ان الكاتب يستطيع بشيء من الرمز لا كله يستطيع أن يكون مفهوما الى حد ما . والادب الرمزي ادب قديم جدا ، وقيل في كثير من المناسبات والعصور ، والجأ الناس في عهد من العهود الى الحيوانات فأنطقوها ، والى الحكايات ، والى الشعر .. ومع هذا فقد كانوا مفهومين .. وكان رمزهم مقبولا . وانا اريد رمزا مفهوما لا الاغراق .. لانك تكتب لمن ؟ .. وهذا السؤال ينبغي ان يطرحه كل شاب على نفسه ، واذا كنت أريد الاصلاح ولا استطيع ان اكتب كما أريد اذن فالاغراق في الرمز وعدم الكتابة سواء .

● **غياب النقد والنقاد عن ساحتنا الادبية ، في رأيكم ما هي الاسباب الرئيسية لهذا الغياب ،وهل هناك من مقترحات أو آراء تطرح حول الحركة النقدية في ساحتنا الثقافية ؟**

□ الحديث عن النقد حديث طويل وان كان حديثا شائكا ايضا .. والواقع أن غياب النقد يعد كارثة بالنسبة للادب ، واعتبر ان سر ما يطرأ على حياتنا الادبية من ضعف أو من ضمور او من انحراف عن الجادة مرجعه ارتجال النقد ــ وعدم وجود الناقد النزيه الضليع ، وانا أركز على هاتين الصفتين ويوجد النقد الاعوج والذاتي ، وهو النقد الذي لا يتناول المادة الادبية بقدر ما يتناول شخصية الكاتب أو الشاعر ، والنقد التعميمي الذي لا غاية له الا الهوى أو الغرض والوصف النابي ،وقد يتصدى للنقد وبشكل موضوعي الناقد غير الضليع الذي لا يستطيع أن يتعمق في المادة الادبية ، ولا يلم بأبعادها .

ويبدو لي أن غياب النقد شيء محير ــ ولا أعرف بالتحديد ما هي الاسباب ، أو لعل الاسباب تزدحم في ذاكرتي ، بحيث لا استطيع أن انتقي منها الاسباب الرئيسية وربما يخشى الناقد الحملات التي قد تثار في وجهه او يساء فهمه وقد يوجد الناقد الصحيح الضليع الذي يجب ان ينتقد لتصحيح الوضع الادبي، أو تصحيح المسيرة الادبية .. ولكنه يخشى أسنة الاقلام الجانحة ويخشى ان يحرج او يساء اليه . او يتناولوه في شخصه أو ذاته ، وان يشوهوا سمعته ، فيرى أن يترفع عن كل هذا ولو رحبنا بالناقد ترحيبا صحيحا واعطيناه موقعه الصحيح ، واحترمناه . فأعتقد ان هذا سيشجع على وجود اكثر من ناقد عندنا . صحيح ان هناك بعض الكتاب الذين تتوفر لديهم بعض الصفات التي قلت ، او لعلها تتوفر كلها ولكنهم لا يظهرون على الساحة كثيرا ولا يظهرون الا في

مناسبات قليلة . ولعل اسباب هي بعض ما ذكرت ولا زلت اتطلع في الواقع الى الناقد الجيد ، واعتقد ان ميزه ادبنا في حاجة كبيرة لمثل هذا النقد .

● نريد ان نصل الى مسالة تقويم المجلات الثقافية وفي طليعتها زمنيا المنهل ومجلة العرب ، وقافلة الزيت وبعض المجلات الحديثة – فهل يمكن أن نتحدث عن دور هذه المجلات في تنمية واقعنا الثقافي ؟

□ برغم كل ما يقال عن بعض مجلاتنا وعن محدودية هذه المجلات او انها تدور في دوائر معينة لا تخرج منها – او أن بعضها لا يستطيع أن يساير التيارات الحديثة او يستوعبها ، وبرغم كل هذا الذي يقال ، تظل مجلاتنا الادبية ذات قيمة تاريخية كبيرة .

مجلة كالمنهل عاشت أكثر من أربعين سنة وهي صامدة تحوي البحث الادبي والشعر وألوانا من الادب والمسرحيات . انها سجل كامل للحركة الثقافية في بلادنا لسنوات طويلة مثل هذه المجلات جديرة بكل تكريم وكل اعتبار ، وصاحبها فيما أعرف عنه لا يدخر جهدا في تطوير مجلته الى الحد الذي يستطيع أن يقوم بهذا المشروع الواحده دون ان يكون له معين . وهذا يقال عن مجلة العرب وهي تمتاز بأنها مجلة متخصصة لتاريخ التراث العربي تعنى به ، وتنشره ويكفي أن يكون رأس هذا العمل الكبير حمد الجاسر، بكل ثقله الادبي والتاريخي وبكل اطلاعه الواسع وبكل جهوده الكبيرة في خدمة الادب والصحافة ، وخدمة الكتاب العربي ، هذه المجلة تقوم على الشيخ حمد لوحده – وعلى جهوده الشخصية ، وفيما أعرف أن هذه المجلة لا توزع الا في اضيق الحدود وعلى المتخصصين والراغبين فقط ، وبودي أن تكون هذه المجلة ذائعة ومنتشرة في كل مكان .

مجلة قافلة الزيت – مجلة أرخت لحركة ادبية ولاحقت الحركة الادبية والفكرية في البلدان العربية – وكانت ملتقى جيدا لاقلام كبيرة من سعوديين ومن اقطار العالم العربي ، وهي تمتاز عن المجلتين السابقتين لصدورها عن جهة ممولة وقادرة على العطاء وعلى الاصدار الجيد ، وعلى الورق المترف وعلى استقطاب الكثير من الكتاب وعلى ملاحقة الحركة الفكرية في الوطن العربي . ولكنها اصبحت في سنواتها الاخيرة اقل حركة وقدرة على استقطاب الادباء العرب كعهدها السابق ، واجمالا فان هذه المجلات تهدف الى خدمة الادب والفكر مع بقية المجلات التي طرحت في الساحة مؤخرا .

● في ختام حديثنا نود ان نتحدث عن المسرح – فنحن لانملك مسرحا ولا كتابة مسرحية وهذا يعكس خللا في تركيب صرحنا الثقافي فهلا حدثتنا عن رأيك في هذه المسألة ؟

□ فريق من الناس عرفوا المسرح في المملكة منذ زمن قديم وكانت هناك المسارح المدرسية وهي محدودة ولايخفي عليك في مكة كان هنا مسرح جيد يقام في كل عام يقيمه رجل فاضل لا يعرفه الكثيرون هو الاستاذ عبد الله خوجه – وهذا الرجل يحوي كثيرا من صفات العبقرية . وكان طلعه وله أوليات كثيرة ومن جملتها عنايته بالمسرح وله عناية بالرياضة وتأسيس الكشافة في زمن لم يكن يفكر فيها أحد وكانت له عنايته بالاناشيد والموسيقى ، اضافة الى المسرح – وهذا الرجل كان يسؤاوه انتشار الامية في مكة ففكر في ايجاد مدرسة ليلية لتعليم الاميين ونشر ما يسمى بفك الحرف آنذاك واستعان بأهل الخير ، فأعانوه رغم ان المادة كانت شحيحة والفقر يضرب اطنابه في البلاد ، وجمع مبلغا لا بأس به ، وأسس مدارس ليلية اسمها مدارس النجاح الليلية، واستقطب الكثير من أولاد الحارة : الجزار ، والنجار والخضري ومن اليهم . وصنع منهم اشياء عجيبة ، صنع الممثل والرياضي ، وحامل الاثقال . هذا عدا عن تعليمهم القراءة والكتابة . كان يرتفع بهم ، وكان عليه أن يمول صندوقه الضئيل ، فرأى أن يقيم حفلة في كل سنة ولعله في شعبان . ويوزع فيها البطاقات ، ويدعو فيها الناس الى حضور هذه الحفلة ويحرص أن يجتذبهم عمل مسرحيات .

وكان الناس يتوقون الى هذه المسرحيات طوال السنة . الى ان تأتي حفلة الشيخ عبد الله خوجه فيزدحمون عليها ويتبرعون ويتفرجون وتمتلي الساحة بالناس ، وقدم شخصيات مسرحية جيدة . وقدم مسرحيات تاريخية وأخرى مترجمة وأشياء كثيرة كان يصنعها هذا الرجل .. ولا يزال الرجل حي وهو كبير في السن .

ورغم هذا النشاط في معظم مدارسنا وجامعاتنا الا أن المسرح في بلادنا لا زال كسيحا ، وذلك يرجع الى عوامل عديدة ساعدت على عدم تطور مسرحنا المحلي رغم بداياته المبكرة ولكننا نأمل له التطور المطلوب ضمن ماتقدمه الجهات المعينة من جهود وما توفره من امكانات .

أجرى الحوار
علي الدميني – هيئة التحرير

جبران ومي

والحب المستحيل...

«جبران ومي جمعهما الفكر قبل الحب»

دراسة : صالحة نصر

« تسألينني يا سيدتي ما اذا كنت وحيد الفكر والأب والروح .. فبما ياترى أجيبك ؟؟
أشعر ان وحدتي ليست بأشد ولا بأعمق من واحدة غيري من الناس .. كلنا وحيد منفرد .. كلنا سر خفي .. كلنا محجوب بألف نقاب ونقاب ، وما الفرق بين مستوحد ومستوحد سوى أن الاول يتكلم عن وحدته ، والثاني يظل صامتا . وقد يكون في الكلام بعض الراحة ، وقد يكون في الصمت بعض الفضيلة

سوف يجيء يوم أهرب فيه الى الشرق ، ان شوقي الى وطني يكاد يذيبني ، ولولا هذا القفص الذي حبكت قضبانه بيدي لاعتليت متن اول سفينة سائرة شرقا » .

● ممن هذا الكلام ، ولمن يوجه يا ترى ؟

في بشري الجاثمة بيوتها الطينية وظلالها المعتمة على أقدام الجبل .. تناقلت النسوة في القرية عام ١٨٨٣ خبر المولود الجديد .. جبران دون ان يستشعر أحد نوعية المأتم الذي سيجري بعد ثمانية واربعين عاما لهذا المولود القادم الى الحياة .

اثنا عشر عاما ويفارق جبران موطنه برفقة أمه وأخيه وأختيه الى مدينة بوسطن الامريكية حاملا في نفسه شعلات روحية هي مزيج من فقدان حنان الابوة ، ومحبة يسوع ، والتعلق الغريزي بالارض والاهل ، والحرمان المادي البغيض .

ومن امريكا ينتقل الى اوربا لاشباع ميله الفني والفكري ، ثم يعود الى بوسطن ويتعرف هناك على الرابطة القلمية التي كانت تجمع : ميخائيل نعيمة ، عبد المسيح حداد ، نسيب عريضة ، ايليا ابو ماضي وليم كاتسفليس ، وفي هذه الفترة يحدث التحول الكبير في حياته فيتعرف على الاديبة « مي زيادة » وتقوم بينهما مراسلة ادبية تتحول الى حب صوفي رائع يجمعهما عن بعد . . حب ملك على كل منهما قلبه وخياله ورافقه حتى نهاية حياته .. حب شاءت الاقدار ان يضطرم عن بعد « سبعة آلاف ميل » كما قال جبران . . و « البحار المنبسطة » كما قالت مي ، ليخلف

لنا لونا جديدا من الرسائل التي تعتبر بحق قطعا ادبية نادرة بين مي وجبران ، جمعت الاديبة سلمى الحفار الكزبري رسائل جبران لمي فقط واصدرتها تحت عنوان « الشعلة الزرقاء » . وترك جبران غير الرسائل انتاجا كثيرا بالعربية منه : الاجنحة المتكسرة ـ الارواح المتمردة ـ رمل وزبد ـ دمعة وابتسامة ـ عرائس المروج ـ الموكب ـ العواصف ـ يسوع ابن الانسان ـ آلهة الارض ـ التائه ـ والموسيقى .

وبالانكليزية له : المجنون ـ السابق ـ والنبي .. الكلمة التي علقت في حلقه زمنا طويلا ثم لفظها في اقصى مايمكن لجبران ان يعرف من صفاء التفكير ونضجه وله مخطوطتان لم تنشرا هما : حديقة النبي ـ وفلسفة الدين والتدين .

واذا كان العالم اليوم يحتفل بالعام الدولي لجبران ، فذلك لما تمتع به جبران من عبقرية نادرة تركت بصماتها الادبية والفنية والفلسفية في تاريخ الانسانية الكبير ، فعدا عن انتاجه الادبي والفني ، فان جبرانا قد ساهم في تغيير كثير من مفاهيم مجتمعه فاعتبر برأي كثير من الادباء والنقاد فيلسوفا وحكيما .

« كانت حياة جبران في نيويورك عبارة عن صراع عنيف بينه وبين المجتمع ونفسه ، وقد استمات جبران كي لا يعرف البشر من امره الا « مظهر العظيم المؤهل لاصلاح عالم انسان وقيادته نحو التفوق » وللشاعر « عبد الوهاب البياتي » رأي في جبران في هذا المعنى

يقول : « لانستطيع اكتشاف جبران خليل جبران في نتاجه ، وانما فيما وراء انتاجه » .

أما الاستاذ « غسان خالد » استاذ الفلسفة العربية الاسلامية في جامعة الروح القدس فيقول في كتابه « جبران الفيلسوف » : لقد تكونت لدينا قناعة عميقة بأن جبران هو فيلسوف بناء وايجابي ، استهدف منذ خطواته الادبية الاولى وضع القواعد الكبرى للمجتمع السعيد وللانسان المتقلب مستعملا معول الهدم كوسيلة اولية لمرماه الفلسفي » .

● من هي المرأة التي شغلت جبرانا عن بعد ؟

واذا توقفنا قليلا ونظرنا ناحية الشرق ، حيث الارض التي فارقها جبران قبل سبعة عشر عاما تلقانا هناك ، على الطرف الآخر من العالم « مي » التي قتلها الحب .

ولدت ماري « مي » زيادة في بلدة الناصرة بفلسطين عام ١٨٨٦ من أب لبناني وام سورية الاصل ثم ارتحلت الى مصر وعاشت في وسط أدبي وثقافي يغلي حماسة ونشاطا بفضل أعلامه المشهورين : كأحمد شوقي ـ وولي الدين يكن ـ وطه حسين ـ وعباس محمود العقاد ـ وخليل مطران ـ وحافظ ابراهيم ـ واحمد لطفي السيد ـ ومصطفى صادق الرافعي ـ وعبد القادر المازني ـ وسلامة موسى ـ وشبلي شميل ـ وانطون الجميل وغيرهم كثير . فحوى صالونها الادبي الذي كانت تعقده كل يوم ثلاثاء كتاب عصرها ، واستقطب المفكرين والشعراء والكتاب ، وغدت « مي » الاديبة الرائدة التي تتصدر الحركة الادبية فترة امتدت عشرين عاما .

نشرت « مي » مقالاتها الاولى في جريدة « المحروسة » ومجلة « الزهور » ثم كتبت في « الهلال » و « المقتطف » و « الاهرام » و « السياسة الاسبوعية » واصدرت عددا من الكتب منها : باحثة البادية ـ ظلمات واشعة ـ و « عائشة تيمور » وبعضا من المقالات الصحفية ، وشعرا كتبته باللغة الفرنسية .. و « لمي » كتاب اختفى نهائيا بعد أن توفيت ، يحكي مأساتها في مرضها وهو بعنوان « ليالي العصفورية » .

وقد نشرت حديثا مجلة آخر ساعة المصرية في عددها رقم ـ ٢٤١١ ـ موضوعا بعنوان : « صفحات مجهولة في حياة مي » قالت فيه : « هذه صفحات أخرى مجهولة من حياة الآنسة مي ، الاديبة الجميلة التي وقع في حبها العقاد وغيره من الادباء والفلاسفة .. والصفحات ترويها خطابات الفيلسوف لطفي السيد الذي ارتبط مع مي بعاطفة رقيقة ونبيلة » كما تشير بعض المجلات الاخرى الى أن صيت مي الادبي قد امتد اكثر من ذلك فوقع في حبها امير مغربي معروف .

لقد كتب الى « مي » عدد كبير من ارباب القلم وأصحاب الكلمة الشاعرة والفلاسفة من بلاد كثيرة كانكلترا وفرنسا واستراليا والهند وغيرها .. ومن بين كل هؤلاء اختار قلبها جبران خليل جبران ، ووقعت تماما في حبه ، على البعد وعلى مسافة آلاف الاميال .

● حب يتخطى حدود الزمان والمكان ..

بدأ الحب بين مي وجبران بلقاءات ادبية ومساجلات فكرية من خلال الرسائل والتعليق على الكتب الادبية والفلسفية ، وكان الطرفان في غاية الصراحة والصدق في ادارة الحوار والجدل وحرية التعبير .. فقد كتبت مي اول رسائلها لجبران سنة ١٩١٢ تعرفه بنفسها وتحدثه عن انتاجه الادبي وتأثيره الطيب ، فتلقت منه رسالة يشكرها على مديحها له وتقديرها لكتاباته ، وارسل لها مع الخطاب آخر كتاب كان قد ألفه وهو « الاجنحة المتكسرة » فاستهوت كتابته وروحه المتمردة وأخذت تناقشه آراءه في الحياة والحب والزواج .

الا أن الحرب العالمية الاولى كانت قد وقعت ، فأثرت في حركة المواصلات وتبادل الرسائل ، وكانت مي قد شعرت ـ بالرغم من ازدهار صالونها الادبي والتفاف العمالقة حولها ـ بنوع من الحرمان العاطفي ، ويبدو انها ادركت انها قد احبت جبرانا فلم تستطع الارتباط بأي اديب او مفكر او شاعر ممن قد وقعوا في حبها تباعا .

● وفي عام ١٩٢٠ كانت قصة الحب بينهما قد أخذت دورا جديدا ..

كان جبران قد انتقل الى نيويورك فتبادلا الرسائل التي تحمل تطورا في مشاعرهما الى ان كانت رسالته التي يصرح فيها بهذا الشعور الخاص الذي يحمله لها فيقول :

« انا ضباب يامي ، انا ضباب يغمر الاشياء ، ومصيبتي هي أن الضباب وهو حقيقتي يشوق الى لقاء ضباب آخر في الفضاء ، ويشوق الى سماع قائل يقول : لست وحدك .. نحن اثنان .. انا اعرف من أنت !! » .

وقد ردت مي على جبران برسالة رحبت بأشواقه وارسلت له مع الرسائل نسخة من كتابها « باحثة البادية » فكتب لها جبران يقول : ماذا أقول عن جوى المعنوي ، لقد كانت حياتي منذ عام أو عامين لا تخلو من الهدوء والسلام ، أما اليوم فقد تبدل الهدوء بالضجيج والسلام بالنزاع .. إن البشر يلتهمون ايامي ولياليي ويغمرون حياتي بمنازعهم ومراميهم ، لكم مرة هربت من هذه المدينة الهائلة الى مكان قصي لاتخلص من الناس ، من أشباح نفسي أيضا .. ان الشعب الامريكي جبار لا يكل ولا يمل .. ان شوقي الى وطني يكاد يذيبني ، ولولا هذا القفص الذي حبكت قضبانه بيدي لاعتليت متن أول سفينة سائرة نحو الشرق .. الى ان يقول :

أنت يامي صوت صارخ في البرية ، وانت صوت رباني ، والاصوات الربانية تبقى متموجة في الغلاف الابدي حتى نهاية الزمن !

وهكذا فقد « كانت مي في حياة جبران ، الصديقة ، والحبيبة الملهمة ، وشقيقة الروح وصلة الوصل بينه وبين وطنه ، مشرقه ، وذاته في أعمق أغوارها ، احب فيها المرأة الحلوة الذكية على طريقته هو ، وكان اكثر ما احبه فيها عقلها النير الذي تجلى في مقالاتها وكتبها ، فأعرب عن تقديره لمؤلفاتها واعجابه بذوقها وثقافتها في بعض الرسائل ، كما أنه احب فيها حبها له واعجابها بشخصيته وانتاجه الادبي والفني الذي كانت تتناوله بالتقريظ والنقد في مقالاتها في مصر »(٢) .

« أنت يا مي كنز من كنوز الحياة ، بل أكثر من ذلك ، أنت أنت ، واني احمد الله لانك من امة انا من ابنائها ، ولانك عائشة في زمن اعيش فيه ... كنت ولم أزل اقول هذا في قلبي ، فهل سمع الذين اتخذوا قلبي وطنا لهم » ؟

● خلاف فكري واتفاق على الحب

وكان من الطبيعي أن يقع اختلاف فكري بينهما نتيجة ثقافة كل منهما ورأيه في الادب والفن والحياة . وتؤكد رسائل جبران انهما بقيا في قطيعة تتراوح بين ٣ ـ ٥ سنوات قضاها كل منهما يتشوق للقاء الآخر .. « لو علمت لما انقطعت عن الكتابة الي ، وربما علمت فانقطعت وهذا لا يخلو من أصالة الرأي والحكمة » .

ولم تكن لتستمر فترة الجفاء بينهما طويلا .. كيف ذلك وقد جمعهما الفكر قبل ان يجمعهما الحب

« الله يسامحك . لقد سلبتني راحة قلبي ، ولولا تصلبي وعنادي لسلبتني ايماني ، من الغريب ان يكون احب الناس الينا اقدرهم على تشويش حياتنا » .

« أنت أقرب الناس الى روحي ، وأنت أقرب الناس الى قلبي ، ونحن لم نتخاصم قط بروحينا أو بقلبينا . لم نتخاصم بغير الفكر ، والفكر شيء مكتسب شيء نقتبسه من المحيط ، من المرئيات ، من مآتي الايام .. أما الروح والقلب فقد كانا فينا جوهرين علويين قبل أن نفتكر » .

ويبدو أن جبرانا كان يعاني من غربة حقيقية في وطنه الاول ، بين ابناء جلدته وأهله ، الامر الذي جعله يفضل البقاء في المهجر على أن يعود .

« كان بقصدي الرجوع الى الشرق في الخريف الآتي ، ولكن بعد قليل من التفكير وجدت أن الغربة بين الغرباء أهون من الغربة بين ابناء وبنات أمي .. وأنا لست ممن يميلون الى الهين ، ولكن القنوط فنون كالجنون » .

ولا يكتفي جبران بذلك بل يعلل لمي سبب كربته ووحدته برسالة يبعث بها اليها ، فيها من الفلسفة بقدر ما فيها من الحب والولاء .. « الناس ، وانما منهم ميالون الى الدخان والرماد ، أما النار فيخافونها لانها تبهر العين وتحرق الاصابع .. الناس ، وأنا منهم منصرفون الى درس ثنايا قشور بعضهم بعضا ، أما اللباب فيتركونه وشأنه لانه لايقع تحت حواسهم . وكيف يستطيع اللباب أن يظهر الا بكسر القشرة ؟ وليس من الامور الهينة ان يمزق المرء قلبه ليرى الناس مكنونات قلبه .. وهذه هي الوحدة يا سيدتي ، وهذه هي الكآبة » .

لقد اقترب جبران من روح مي الى درجة من الشفافية التي لا توصف ، فأصبح يرى العالم من خلالها ، ويتحسس الفضيلة من طيفها ، فدخل في ثنايا هذه الروح ، وتغلغل في تلك الاحاسيس الى مرحلة قادها افتقاده حين مات الى الانهيار العصبي القريب من الجنون .

« يا مي ، أنت تحيين في ، وأنا احيا فيك ، أنت تعلمين ذلك ، وأنا اعلم ذلك » .. « احب صغيرتي ، غير انني لا ادري بعقلي لماذا أحبها ، ولا اريد أن ادري بعقلي . يكفي انني احيا بروحي وقلبي ،ويكفي انني اسند رأسي الى كتفها كئيبا غريبا ، مستوحدا ، فرحا مدهوشا مجذوبا ، يكفي ان اسير الى جانبها نحو قمة الجبل وأن اقول لها بين الآونة والاخرى انت رفيقتي ، أنت رفيقتي » .

● ومي .. هل حبها عارض ؟

هل كان حب مي لجبران عارضا في حياتها ؟ أم انه كان حكاية حياة المرأة كما تقول مدام « دي ستيل » ؟ « الحب عارض في حياة الرجل ، ولكنه حكاية حياة المرأة » .

لقد شهدت سنة ١٩٢٤ قمة اللقاء العاطفي بين مي وجبران حيث كان حبهما قد بلغ الذروة من شدة الوجد والشوق للقيا ، والاحساس بالغربة ، فكتبت مي الى جبران تقول : « جبران .. لقد كتبت اليك كل هذه الصفحات ضاحكة لاتحايد قولي انك محبوبي ، لاتحايد كلمة الحب ، ان الذين لايتاجرون بمظاهر الحب ودعواه في السهرات والمراقص والاجتماعات ينمي الحب في أعماقهم قوة ديناميكية رهيبة قد يغبطون الذين يوزعون عواطفهم في اللألاء السطحي لانهم لا يقاسون ضغط العواطف التي لم تنفجر ، ولكنهم يغبطون الآخرين على راحتهم دون ان يتمنوها لنفوسهم ويفضلون وحدتهم ، ويفضلون السكوت ، ويفضلون تضليل قلوبهم عن ودائعها ، والتلهي بما لا علاقة له بالعاطفة ، يفضلون اي غربة ، واي شقاء .

ثم تستدرك قائلة : مامعنى هذا الذي اكتبه ؟ اني لا أعرف ماذا اعني به ، ولكنني اعرف انك محبوبي واني أخاف الحب . اقول هذا مع علمي بأن القليل من الحب كثير .. الجفاف والقحط واللا شيء بالحب خير من النذر اليسير . كيف اجسر على الافضاء اليك بهذا . وكيف افرط فيه ؟ لاادري . الحمد لله أنني اكتبه على الورق ولا اتلفظ به ، لانك لو كنت الآن حاضرا بالجسد لهربت خجلا بعد هذا الكلام .

الى ان تقول : غابت الشمس وراء الافق ، ومن

خلال السحب العجيبة الاشكال والالوان حصحصت نجمة لامعة واحدة هي الزهرة ، الهه الحب ..اترى يسكنها كأرضنا بشر يحبون ويتشوقون ؟ ربما وجد فيها من هي مثلي لها جبران واحد حلو بعيد ، هو القريب الغريب ، تكتب اليه الآن والشفق يملأ الفضاء وتعلم أن الظلام يخلف الشفق ، وان النور يتبع الظلام .. فتتسرب اليها كل وحشة الشفق ، وكل وحشة الليل ، فتلقي بالقلم جانبا لتحتمي من الوحشة في اسم واحد : جبران » .

فاذا كان حب مي لجبران بهذا البعد والعمق والاتساع الذي تصوره رسالتها ، واذا كانت مي قد رفضت الكثيرين ممن طلبوا ودها من الادباء والاصدقاء المجعبين .

● لماذا اذن رفضت الزواج من جبران ؟

تذكر السيدة سلمى الحفار الكزبري في « الشعلة الزرقاء » التي حققتها والدكتور بشروئي أن ميا قد ترددت في الاعراب عن مشاعرها ــ كما هو واضح من رسائلها لجبران ، وأنها تشككت في عواطف جبران نحوها لاسباب متعددة ومتباينة في حين تؤكد مصادر أخرى ان مي قد صرحت تماما بحبها لجبران وفي أكثر من رسالة بعثتها اليه فيما بين عامي ١٩٢١ الى ١٩٢٦ حيث تقول في احداها : « اريد ان تساعدني وتحميني وتبعد عني الاذى ، ليس بالروح فقط ، بل بالجسد ايضا » وفي ثانية اليه تنادي : « سأذهب اليك مرارا عديدة خلال هذه المواسم ، وامكث في حماك طالبة الاغتباط بحضورك » .

ويبقى السؤال قائما دون جواب : لماذا رفضت مي الزواج من جبران ؟؟

قد لا يهم هذا الامر عشاق ادبهما من قريب أو بعيد ، ولكن ألا يحتمل ان يكون لذلك صلة بشكل او بآخر بتلك الاسباب التي قادت مي فيما بعد الى حافة الجنون ؟؟

● حسنا فعلت ..

« حسنا فعلت بأن رحلت !! فاذا كان لديك كلمة اخرى فخير لك ان تصهرها وتثقفها وتطهرها لتستوفيها في عالم ربما يفضل عالمنا هذا في أمور شتى » .

بهذه الكلمات التي تقطر اسى ، نعت مي جبرانا لقرائها ، وودعته عن بعد ، بعد ان ارتحل دون ان يلتقي القلب الذي رافقه من بلاد الشرق زمنا طويلا .

ففي عام ١٩٣١ هوى جبران صريعا تحت وطأة الداء ، فدفن بضاحية بوسطن الامريكية ، ثم نقل الى لبنان ودفن في دير مارسركيس تحقيقا لوصيته التي تقول :

« ان تكن لي من أمنية بعد الممات فهي ان الحد على اكتاف الوادي الرهيب ــ وادي قاديشا ــ وما أحلى ان اسمع في صمتي الابدي دقة الناقوس ، ومنجيرة الراعي » .

أما مي المفجوعة .. مي التي ترملت بدون زواج فقد فقدت بموت جبران ابا وأخا وصديقا وحبيبا .. فقد فقدت بموت جبران ابا وأخا وصديقا وحبيبا .. أيامها ظلا ، وخريف عمرها ربيعا ، ووحشة لياليها أنسا .

أما مي الشاعرة ، ومي العاشقة ، ومي الانسانة ، فقد أحدث غياب جبران زلزالا دمر كيانها وساقها نحو الموت البطيء الذي اتخذ اشكالا مختلفة سماها بعضهم انهيارا عصبيا ، ودعاها آخرون بالجنون ، الى ان توقف القلب منها عام ١٩٤١ بعد رحلة عذاب أعقبت موت جبران واستمرت عشر سنين

● صالحة نصر

المراجع :

ـ الشعلة الزرقاء : سلمى الحفار الكزبري

ـ جبران الفيلسوف : غسان خالد

ـ وعدد من الصحف والمجلات .

الطبري رسالة فكر وديمومة

د. محمد جبر

الزمان يبتلع كل شيء على الاطلاق !.. الا الكلمة فانها تبتلع الزمان وما فيه وتحتفظ بتاريخه وتطوره مصانا في اعماقها السرمدية. لان الكلمة المسطورة هي الاغنية الخالدة لذلك الفكر الانساني العظيم الذي صنع الحضارة ، ولم يزل يدفع بعجلة العلم والتقدم للتطلعات البشرية نحو السمو والارتقاء .. قلت : الكلمة الحرة المكونة من الحرف المتوهج المشرق .. الصادق الحر لتحقيق انسانية الانسان ، والاكثر احساسا بمسؤولية مسيرة التاريخ والزمان. والمفكر الاصيل هو الاكثر اخلاقية لقول هذه الكلمة المضيئة .

● في رحلة طويلة خلال البحث عن معالم الفكر العربي منذ عصر الجاهلية حتى اليوم .. تبدو معالم شخصيات متعددة من أعلام الفكر في الشعر والنثر والفلسفة والعلوم ومن حق هؤلاء النوابغ علينا ان نكشف عنهم ، ونؤرخ لهم وندرس نتاجهم وآثارهم ، ونقدمهم لجيلنا المعاصر المتعطش الى صور البطولة وروائع الفكر وبدائع الفنون الادبية ، من مساجلات وتحقيقات . ولقد حفل تراثنا باعلام بارعين صادقين في ايمانهم بامتهم واسلامهم وعروبتهم وموطنهم . غير أن بعضهم آثر الشهرة وبعضهم آثر العمل دون الشهرة فأصبحوا عظماء في ضمير الشعوب .. وشوامخ في قلب التاريخ وكواكب مضيئة على جبين الزمن . ولقد تابعت بحثي خلال أعوام طوال عديدا من هؤلاء النوابغ الذين لم يوفوا حقهم .

واليوم وبكل تواضع أقف لاهمس عن نابغة شامخ شموخ قمة ايفرست وهملايا همسة صغيرة ارجو أن يتنبه من هو أقدر مني لكي يحولها الى صراخة في البحث في بطن تراثنا العظيم ويقدم لشبابنا نوابغ امتنا العظيمة في حلة عصرية تناسب ذوق الجيل . ووقفتي مع محمد بن جرير الطبري الفقيه والمؤرخ العملاق وعالم الصرف والنحو والباحث الذي حقق عشرات القضايا والمواقف والرجل الذي أغنى تراثنا بعشرات الكتب النفيسة التي ترجمت الى اكثر اللغات الحية . والآن وأنا في صدد ذلك المفكر والمؤرخ ارى أن هنالك ثمة أشياء كثيرة تشدني الى الطبري وتربطني به كل الارتباط ذلك لانه الرجل الفذ الذي استطاع أن يكون اماما كبيرا لمن جاءوا بعده في مضماري التفسير والتاريخ سواء بسواء فاذا كان كتابه جامع البيان بمثابة المنبع الثر الذي كان ولا يزال يستقي منه المفسرون ويرتوي منه الباحثون في علوم القرآن، فان كتابه تاريخ الرسل والملوك هو الآخر كان رائدا لكل من كتبوا في التاريخ العربي اعتبارا من القرن الثالث الهجري وحتى الآن .

ومع ذلك لم يلق الطبري الاهتمام الذي يستحقه وخاصة في العصر الحديث . ولعل عناية المستشرقين والباحثين الغربيين به تكاد تفوق الدارسين العرب . فمعظم الباحثين العرب صبوا كل جهودهم على الآداب والفنون وانبرى لدراسة وتحليل معظم الشعراء والادباء حتى أن شاعرا عبقريا مثل المعري أو المتنبي أو البحتري لقوا من الاهتمام الكبير حتى كان نصيب كل واحد منهم آلاف الصفحات التي كتبت عنه بينما باحثا عبقريا مثل الطبري لم يسعفه الحظ حتى الآن بدراسة تحليلية لحياته وأعماله بل أن منهجه في التفسير أو التاريخ لم يتطرق له باحث الا من قبيل الاستعراض الى جانب غيره من المفسرين والمؤرخين .

ولا شك أن هذا اجحاف بحقه .. ولكن السؤال المطروح ما سبب هذا الاجحاف الكبير ؟

● اذا وضعنا علوم التفسير وتطورها في العصر الحديث بين قوسين ، لان البحث فيها يتطلب مجالا رحبا لا تحيط به لا زاوية ولا مقالة حتى ولا كتاب بأكمله ، ووقفنا لدى علم التاريخ العربي الذي ولدت جذوره الاولى على يد الطبري والواقدي وابن سعد وغيرهما ثم استقام عوده على يد العلامة ابن خلدون ، فبامكاننا القول بأن علم الاجتماع والعمران وعلم التاريخ العربي توقف لدى معطيات ابن خلدون التي طرحها في المقدمة الضخمة التي سطرها لكتابه كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر — وبشكل لا نجد غضاضة في القول بأن كل ما كتب في التاريخ وفلسفته في العصر الحديث لا يسمن ولا يغني من جوع ، لان كل تلك المؤلفات سارت على نسق المؤرخين العرب مع تأثيرات قليلة أو كثيرة بمناهج المؤرخين الغربيين .

لذا كان طبيعيا أن لا يلقى الطبري وغيره حقهم من الرعاية والاهتمام ، ولكن هذا المؤرخ العملاق يعد من أشهر المؤرخين العرب الشوامخ الذين كتبوا تاريخ العرب منذ العصور الاولى وحتى قبيل وفاته في القرن الرابع الهجري .

وفي رأيي كل ما كتب بعده في التاريخ عالة عليه حتى يومنا هذا .. كما يعتبر من ائمة المفسرين لآيات القرآن الكريم . وقد أخذ عنه كثير من المفسرين واستشهدوا بآرائه .

كما كان ابن جرير اماما في فنون كثيرة غير التفسير والتاريخ ، ومنها : الفقه والحديث وغير ذلك . وله مصنفات نفسية في علوم كثيرة تدل على سعة علمه وغزارة فضله ، وكان من شوامخ أئمة المجتهدين وله شعر حسن بديع .

وقد عكف الطبري منذ نعومة اظفاره على تلقي العلم من العلماء والفقهاء ، وطالع الوانا مختلفة من كتب الادب والفقه واللغة .

● ولد هذا الطود الشامخ في طبرستان عام ٢٢٤ هـ وتحدث ابو جعفر الطبري عن حداثته فقال :

حفظت القرآن ولي سبع سنين وصليت بالناس وأنا ابن ثماني سنين وكتبت الحديث وأنا ابن تسع . كما قال أيضا ورأى لي أبي في النوم انني بين يدي رسول الله ﷺ وكانت معي مخلاة مملوءة حجارة ، وأنا ارمي بين يديه ، فقال له المعبر : انه ان كبر نصح في دينه ، وذب عن شريعته ، فحرص أبي على معونتي في طلب العلم ، وانا حينئذ صبي صغير .. وصدقت الرؤيا وغدا ابن جرير الطبري اماما من ائمة العالم في التفسير والتاريخ . طاف الطبري في شتى الاقطار والامصار ، فرحل الى مدينة الرى وما جاورها من الاصقاع وأخذ عن فقائها وعلمائها ، ثم رحل الى العراق . ثم اتجه صوب البصرة حيث اتصل بمحمد ابن موسى الحرشي ، وعمار بن موسى القزاز ، ومحمد ابن عبد الاعلى الصنعائي وبشر بن معاذ ، وغيرهم من العلماء وذوي الرأي . واتجه صوب الكوفة حيث اتصل بسليمان بن خلاد الطلمي ، وأخذ عنه القراءات وقابل أبا كريب محمد بن العلاء الهمذاني ، وكان من أئمة العلماء في هذه الفترة وذهب الى بيروت حيث اتصل بالعباس بن الوليد البيروتي المقرىء .

وذكر ابن عساكر انه لما تقلد الخاقاني الوزارة وجه الى ابي جعفر الطبري بمال كثير فامتنع عن قبوله ، وعرض عليه القضاء فأبى ، وعرض عليه المظالم فامتنع ، فعاتبه اصحابه وقالوا له : لك في هذا ثواب وتحيي سنة قد درست ، وطمعوا في قبوله المظالم ، وباكروه ليركب معهم لقبول ذلك فانتهرهم وقال : لقد كنت أظن لو رغبت ذلك لنهيتموني عنه . ولامهم ويروى عن الطبري انه كان يكتب من الظهر الى العصر وكان يجلس للناس يقرىء ويقرأ عليه الى المغرب ،

ثم يجلس للفقه والدرس بين يديه الى عشاء الآخرة ، ثم يدخل منزله . كان الطبري شديد العناية بمظهره. ويروى انه كان يكره تفضيل احد تلاميذه على سائرهم فلو لم يستطع طالب الحضور ذات يوم أجل الطبري مجلسه ابى أن يتاح له الحضور في ميعاده وكان مغرما باقتناء الكتب النادرة والذخائر النفيسة .

وذكر ياقوت في معجمه انه قيل في شأنه :
كان كالقارىء الذي لا يعرف الا القرآن وكالمحدث لا يعرف الا الحديث ، وكالفقيه الذي لا يعرف الا الفقه ، وكالنحوي الذي لا يعرف الا النحو ، وكالحاسب الذي لا يعرف الا الحساب وكان عالما بالعبادات ، جامعا للعلوم ، واذا جمعت بين كتبه وكتب غيره وجدت لكتبه فضلا على غيرها .

وروي عن أبي حامد الاسفرايني الفقيه انه قال : لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل على كتاب تفسير محمد بن جرير لم يكن ذلك كثيرا .

أما في علم الحديث فقد صنف الطبري كتاب – تهذب الآثار – ووصفه ابن عساكر بأنه من عجائب كتبه . وذكر النووي في كتاب – تهذيب الاسماء واللغات – انه في طبقة الترمذي والنسائي ، وقد ألف الطبري كتاب – أدب المسالك – ويتناول الاعمال التي يقوم بها الحاج خروجه حتى انقضاء حجه – وكتاب – آداب النفوس وكتاب بسيط القول في أحكام وشرائع الاسلام وكتاب اختلاف علماء الامصار وكتاب الخفيف في الفقه وكتاب البصير في معالم الدين وكتاب حديث الطير وغير ذلك من الكتب . اما كتاب تاريخ الرسل والملوك فيعد من أشهر مؤلفات الطبري بعد تفسيره ، ويظهر أنه ألفه بعد التفسير ، وقد بدأه بتاريخ آدم ومن جاء بعده من الانبياء والرسل على ترتيب ذكرهم في التوارة مع تعرض للاحداث التي جرت في هذه الايام وجرى الطبري في تاريخه على النهج الذي اتخذه المحدثون . وذلك بأن يذكر الحوادث مروية بمقدار ما عنده من الطرق ، ويذكر السند حتى يتصل بصاحبه .

وقال في مصدر تاريخه موضحا منهجه : وليعلم الناظر في كتابنا ان اعتمادي في كل ما أحضرت ذكره منه مما شرطت اني راسمه فيه انما هو على ماروبت الاخبار التي أنا ذاكرها فيه والآثار التي أنا مسندها الى رواتها دون ما ادراك بحجج المعقول واستنبط بفكر النفوس ا اليسير القليل منه ، اذ كان العلم بأخبار الماضين وما هو كائن من أنباء المحادثين غير واصل الى من لم يشاهدهم ، ولم يدرك زمانهم الا بأخبار المخبرين ، ونقل الناقلين دون الاستخراج بالعقول ، والاستنباط بفكر النفوس . فما يكون في كتابي هذا من خبر ذكرناه من بعض الماضين مما يستنكره قائله ، أو يستشفه سامعه ، من اجل انه لم يعرف له وجها من الصحة ولا معنى في الحقيقة، فليعلم انه يؤت في تلك قبلنا ، وانما أتى في بعض ناقليه الينا ، وأنا انما ارينا ذلك على نحو ما أدى الينا .

وقد توفر على دراسة الطبري عدد كبير من المستشرقين من مختلف الجنسيات نذكر منهم : بارت – ونولدك – وجويدي – ومولر – وغيرهم . كما ترجمت اجزاء كثيرة من هذا التاريخ الى الانكليزية والفرنسية والالمانية ، وغيرها من لغات العالم . وللطبري غير كتابه التاريخ تفسيره المشهور المسمى : جامع البيان عن وجوه تأويل آي القرآن ويتراءى في هذا الكتاب ولع ابن جرير الطبري بعلم التفسير ، وتفننه في توضيح مكنونات البلاغة والبيان وروائع الحكم والاسرار في كتاب الله العزيز .

وكان ابن جرير الطبري يقول : اني لاعجب ممن قرأ القرآن ولم يعلم تأويله كيف يلتذ بقراءته ..؟ والملاحظ على تفسير الطبري كثرة الفصول في عباراته وتباعد أطراف الجمل ، فلا يسلم المعنى حتى يعاود القارىء قراءته مرة ومرة . ولنسمع اليه يقول :

« ونحن في شرح تأويله وبيان ما فيه من معانيه منشئون ان شاء الله ذلك كتابا مستوعبا لكل ما بالناس اليه الحاجة من علمه جامعا ومن سائر الكتب غيره في ذلك كافيا ، ومخبرون في كل ذلك بما انتهى الينا من اتفاق الحجة فيما اتفقت عليه منه ، واختلافها فيما اختلفت فيه منه ، ومبينون علل كل مذهب من مذاهبهم ، وموضحون الصحيح لدينا من ذلك باوجز ما أمكن من ايجاز في ذلك ، وأحضر ما أمكن من الاختصار فيه » . وقد وضح ابن الجرير الطبري في مطلع تفسيره القول في البيان عن اتفاق آي القرآن ، ومعاني منطق من نزل بلسانه من وجه البيان والدلالة على أن ذلك من الله تعالى ذكره هو الحكمة البالغة

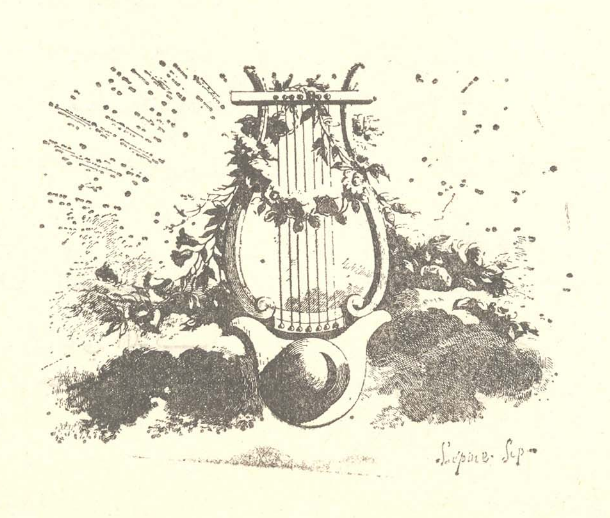
مع الابانة عن فضل المعنى الذي به بابن القرآن سائر الكتب . كما أوضح في مقدمة تفسيره منزلة العرب في البيان والبلاغة وقدرتهم على الاتيان بروائع الفصاحة فقال : ان من اعظم نعم الله تعالى ذكره على عباده وجسيم منته على خلقه ما منحهم فضل البيان الذي به عن ضمائر صدورهم يبينون ، وعلى عزائم نفوسهم يدلون ، فذال منهم الالسن وسهل به عليهم المستصعب ، فيه اياه يوجدون ، واياه به يسبحون ويقدسون ، والى حاجتهم به يتوصلون وبه بينهم يتحاورون ، فيتعارفون ويتعاملون ، ثم وضح على أثر ذلك ان الله جعل الناس طبقات ، ورفع بعضهم فوق بعض درجات ، فبين خطيب مسهب زلق اللسان مهذب ، ومن مفحم عن نفسه لا يبين ، ودعي عن ضمير قلبه لا يعبر ، وجعل القرآن اعلاهم فيه رتبة ، وأرفعهم فيه درجة وابلغهم فيما اراد به بلاغا ، وأبينهم عن نفسه به بيانا ، ثم عرفهم في تنزيله ومحكم آي كتابه فضل مما حباهم به من البيان على من فضلهم به على غيرهم من ذوي القلم والمستجمعين اللسان .

ولذلك كان تفسير القرآن من أهم الوسائل التي تفهم القرآن . لانه من العبث دعوة الناس الى الايمان والعمل والاعتبار ما لم يكونوا فاهمين لمعاني القرآن ، مقدرين لبيانه محيطين ببلاغته فانه لا يجوز أن يقال للناس : اعتبروا بها الالسن كان بمعاني القرآن عالما ولكلام العرب عارفا ، أما من كان جاهلا فعليه أن يعلم معاني كلام العرب ثم يتدبره بعد ذلك ويتعظ بحلمه وصنوف عبره .

كما بين في مقدمة تفسيره الاغلاط التي غلط في تأويلها منكرو القول في تأويل القرآن ، واستشهد ببعض الاحاديث في ذلك الشأن .

وهكذا يمضي هذا الطبري الشامخ كقمة ايفرست في تفسيره حتى أتمه وغدا كتابا وأيما الحق انه من أوفر المراجع في علم التفسير ، ويعد بين التفاسير الهامة التي يرجع اليها العلماء والفقهاء كالقرطبي ، والبيضاوي والنسفي ، والزمخشري وما الى ذلك من التفاسير ويبقى تفسير محمد بن جرير الطبري منارة رائدة بين كتب التفسير ويعتبر كل من كتب بعده عالة عليه .. لانه ثروة اسلامية عربية هائلة في اكثر من فن من فنون الكلم والفكر .

حلب ـ الدكتور محمد جبر



التأمل والحنين في ديوان شاعر العاصي بدر الدين الحامد

بقلم: عبد العليم الصافي

التأمل صفة ملازمة لكل فنان . وهو للشاعر البدر مرافق شديد الوصال . وله في الديوان اكثر من سمة . وتأمل شاعرنا في أكثره منصب على هذا السر الخفي الذي حار الانسان في سبر كنهه ، مذ وجد الانسان . سر الموت وما بعده . ولن نطلب من شاعرنا تعمقا في فلسفة الوجود وما وراء الوجود . وانما هي نظرات شاعر ، وانطباعات موجود ، فالموت عند شاعرنا لا يرد بحزن :

انه الموت ، لا يرد بحزن
يوم لا ينفع الخليل الخليل

وما أريد ان اذكر بأبي العلاء ، ولا بآي الذكر الحكيم . ولو سأل شاعرنا الميماس لاجاب : ان كل جديد في ممر الزمان الى فناء .

لو سألنا الميماس اين هوانا
يوم كنا ، ولا تسل كيف كنا
لاجاب الميماس : كل جديد
في ممر الزمان يبلى ويفنى

وسر الحياة في رأي شاعرنا عميق . فالفؤاد معنى بالروح ، والجسم مبنى :

يا فؤادي ، سر الحياة عميق
أنت معنى بالروح والجسم مبنى

والعمر لمحة من خيال :

انما العمر لمحة من خيال
فاذا مر ، قيل كانوا وكنا

ولذلك ، فليدع فؤاد شاعرنا هم الزمان ما دام هو فيه نضو اغتراب :

فدع ، فؤادي ، هم الزمان
فأنت فيه نضو اغتراب
دنياك تجفو ، وأنت تشكو
والعمر وهم مثل السراب

ويطل شاعرنا على الخيام حين يريد لنا أن نغتنم صفو الليالي ما دام كل صفو الى ذاب :

ولا تدابر صفو الليالي فكل صفو الى ذهاب

وشاعرنا حيران في سر الحياة . وكأنه ضل في صحراء فلمح سرابا فظنه تموج ماء :

حيران في سر الحياة كأنني
نضو اغتراب ضل في بيداء

لمح السراب يلوح لي ، فأرى به
كذبا وتضليلا تموج مــاء

وهو عارف بذلك ومتيقن منه . ولكنه من نسل آدم حيث وصلت يأؤه بلامه خلافا لابي العلاء :

وأنا الخبير به ، ولكني امرؤ
من نسل آدم ، وصلت بلامي يائي

وعلى ذلك فتبا لدنيا غرور :

تبا لدنيا ، غرور باطل
ما بين وهـم خادع وهنـاء

وتبا لليالي تسالمها كثيرا ، ولكنها تغير علينا ، فلا تبقي ولا تذر :

ويح الليالي ، كم نسالمها وتغير ، لا تبقي ولا تذر

وكل ما في الحياة عند شاعرنا سراب لا يزدهيه :

كل ما في الحياة عندي سراب
مضمحل بالقـاع لا يصيبني

ونحن في حلبة القضاء أسارى ولخير من الكلام السكوت :

نحن في حلبـة القضاء أسارى
يسع المرء في مداهـا السكوت

والعقل حيال المنايا وعادياتها مبهوت :

قاتـل الله عاديـات المنايـا
كـل عقل حيالهـا مبهوت

ولاجل ذلك ، فللدنيا من شاعرنا كل هجر وقلى :

لـك يا دنيـا ، وان لم تجهلي
مـن فؤادي ، كـل هجر وقلى

وعلى ذلك فهو يعجب من رفعنا القصور ، مادامت المنايا كتابا موقوتا علينا ، انه الوهم الذي يدفعنا الى البناء ، ولو عقلنا لرأينا الحياة طعاما وشرابا فقط . وما مضى فات ، وما هو آت سيفوت ايضا . فاذا نحن نيام في التراب ، واذا المروج خالية مما كان يزينها :

ما لنا نرفـع القصـور ونبني
والمنايا يمشي بهـا التوقيت
قد وهمنا ، ولو عقلنـا رأينـا
أن هذي الحياة مـاء وقـوت
ما مضى فات ، والذي هو آت
مثل ماضيـه عن قريب يفوت
فاذا نحـن في التراب نيـام
واذا بالمروج وهـي مروت

والغرور وحده في رأي شاعرنا ، هو الذي مني به الناس فجالوا في ميادين ليس فيها قرار :

مني النـاس بالغرور فجالوا
في ميادين ليس فيها ركون

وأخيرا فان شاعرنا يسأل في احدى مراثيه عن رياح المنايا ، وجهات هبوبها . وعن سر هذا الوجود الذي أعيا العقول فصير شاعرنا على يقين من أن فهمنا للمغيبات ما زال جنينا :

أيها الشيخ ، مـا ريـاح المنايا
أشمـال مهبتهـا ، أم يمـين
سـر هـذا الوجود أعيا ، فدعنا
فهمنـا بعـد في الغيـوب جنين

أما الحنين فهو غريزة ملازمة لكل من دب على هذه الارض . والانسان وحده هو الذي يترجم الحنين فنا . فكل يحن الى مسكنه ومسقط رأسه ، والى بلاده ومهوى فؤاده . وفي الحديث الشريف (لولا حب الوطن لهلك بلد السوء) . وكل يحن الى ماضيات ايامه ، وعمر شبابه . وكل يحن الى اصدقائه ، والى أماكن أنس بها ، والى ذكريات حفرت في أعماقه كل جميل . والوتر الحنون في الحنين سمعناه عند المهاجرة من شعرائنا المغتربين ، وعند احمد شوقي عبر مغتربه في مفناه في اسبانيا . وعند الزركلي حين أراده الاستعمار البغيض على ترك بلده . وكل من ابتعد عن بلده طويلا او قليلا شعر بهذا الشعور النبيل والعميق . فلا عجب ان نسمع هذا النغم في ديوان البدر . ففيه حنين الى اصدقاء ، وحنين الى أماكن عاش فيا ، فحن اليها حين ذكرها . وحنينه يمتزج بألوان شعره كلها . ويمتزج بالطبيعة الملونة . ولكن حنينه الحق الى « حماة » في الاكثر الاعم . وان لم يبتعد عنها طويلا ولم يفارقها الا قليلا . والحق أن الشاعر البدر كان أعلق الناس بحماه وأشدهم حبا لها وشوقا اليها ، والتصاقا بترابها . فحماة عنده مسرح ريمه . فهو يناديه شوقا ، ويدعو

له حبا، فأيامه في ابتعاده عنه قد تغيرت وقد أرقه التذكر التحنان :

يا مسرح الريم بين الرند والبان
سقتك غادية من دمع اجفاني
حالت لبعدك أيامي، وارقني
في حندسى الليل، تذكاري وتحناني

فكم من وقفات له على العاصي، وقد غربت شمس الاصيل وأمست عين القمر ترعاه، وحفيف الاغصان نجوى غناه :

كم وقفة لي على العاصي وقد غربت
شمس الاصيل وعين البدر ترعاني
وللنسيم حفيف في الغصون كما
لو جاء يطرب غريد بألحان

فلا سامح الله ساعات البعاد، فقد أدمت فؤاد شاعرنا وحركت أشجانه :

لا سامح الله ساعات النوى فلقد
أدمت فؤادي وهاجت في أحزاني

فمتى يعود للاجتماع شمل . وشاعرنا يأسف لزمن مضى كان يجمعه بمن يريد قرب، ويطربه كأس، ولصوت النواعير في الآذان هيمنة فكأنما هو مع صحبه في جنة رضوان :

متى يعود الشمل وا أسفاه
على زمان مضى ما ان له ثاني
أيام يجمعنا قرب، ويطربنا
كأس من الراح، تروي كل صديان
وللنواعير في الآذان هيمنة
كأنما نحن في جنات رضوان

وفي الديوان أبيات بعنوان (ذكرى) ففيما اب الشمس كان يذكر شاعرنا أحبابه فيدمي جراحه . والزمان الذي مضى على غير وعد هو راحة الارواح :

كلما الشمس آذنت برواح
أذكرتني بكم فأدمت جراحي
يا زمانا مضى على غير وعد
انت والله، راحة الارواح

والفراق لازمه بسهد ومازج راحه بهم، فعاف بعد أحبابه الاقداح :

ان يكن بينكم أطار رقادي
فلقد عفت بعدكم أقداحي
خالط السقم مهجتي وفؤادي
وبراني، ومازج الهم راحي

وفي حنينه يتصور حنين المغتربين الى حماة فيقول :

طافت بكم صور الحنين على النوى
والمستراد من الديار بعيد

وتنساب الصور تمثل العاصي ورياضه، حيث الطير شادية وحيث كل خميلة في الطبيعة عيد . والدهيشة (ناعورة وبستان) ما تزال كعهدها روض ظليل ومقصف منضود :

فتمثل العاصي لكم ورياضه
منضودة، ونميره المورود
والطير شادية على أغصانه
في كل أيك للطبيعة عيد
ان « الدهيشة » ما تزال كعهدها
روض يظل ومقصف منضود

ثم يصور أفاعيل الحنين في النفس فيقول :

ومن الحنين تعلل يضني جوى
ومن الحنين صبابة ونشيد
والاهل مهما طال عهد حنينهم
تتتابع الايام وهو جديد

ويمزج شاعرنا البدر الحنين بطبيعة حماة في العشيات فتهفو القلوب للذكرى وتغرق الخدود بالدموع :

واذا العشي تناوحت نسماته
فمعاطف مهتزة وقدود
تهفو القلوب، ولات ساعة مرجع
دان فتغرق في الدموع خدود

والمغتربون في الامريكتين من ابناء حماة :

يتذكرون على البعاد لياليا
سلفت وظل هنائهم ممدود

والواقع عند شاعرنا البدر أن ذكر البلاد الم يهيجه ويزيده ألما اذا الديار تباعدت :

ذكر البلاد اذا البلاد تباعدت
ألم يهيج بنا الجوى ويزيد

والحق عند شاعرنا البدر أنه :

لا خير فيمن لا يحب بلاده
ان اللئيم عن العلا مجدود
وطن الكريم حياته وفخاره
والفخر منه طارف وتليد

وكل مكان في وطن شاعرنا البدر قضى فيه وقتا حلوا يفجر فيه الحنين فبعد عشرين مرت على تركه (حمص) تطوف به الذكرى فيعود الى الصبا وتتمثل له صفحة من حياته في حمص . حيث كان وجن الشعر ترقص حوله . وكأسه مترعة بشراب . وحيث فجرت حنينه مرابع أحباب في ميماس حمص :

طافت بي الذكرى فعدت الى الصبا
والزهر يملأ جانحي واهابي
وتمثلت لي من حياتي صفحة
كالبدر حجب ساطعا بسحاب
أنا ، ههنا ، والشعر ترقص جنه
حولي ، وكأسي أترعت بشراب
أمراتع الاحباب في ميماسهم
عودي علي بنفحة الاحباب
الساهرون على الضفاف تفرقوا
وبقيت كالظمآن عند سراب
عشرون مرت لم يدر في خاطري
أن الزمان يجرني لمآبي

وشاعرنا البدر أخو لوعة لنزوح عدد من رجال الامة عن البلاد في سفر أريد لهم ، فيحن وما يجدي عليه حنين ، فأحبابه في ايدي النوى . والدار قفر بعدهم :

أخو لوعة يهتاج في قلبه الذكرى
دجى ، فدموع العين أسرابها همر
يحن ، وما يجدي عليه حنينه
سوى ألم ينقد من هوله الصبر
أحباي في أيدي النوى وحشاشتي
على اثرهم . والدار من بعدهم قفر

وما فكر شاعرنا البدر بالنوى ، ولكن الدهر غدار ، فما راعه الا الفراق فياليته رحل مع أصحابه او ماتوا معا .

وحق الهوى ، ما فكر الصب بالنوى
لكن هذا الدهر من طبعه الغدر
فما راعنا الا الفراق ، فليتنا
رحلنا معا او ضم أعظمنا القبر

وفي الديوان القديم (ظهر عام ١٩٢٨) حنين الى العاصي . قال شاعرنا البدر « انها قصيدة قيلت في سفر طال امده » وان كنا نحن لا ندري عن هذا السفر وجهته ولا عن هذا الفراق أمده . فهو يحن الى العاصي . وما عن قلى كان فراقه له . ولكنه ظن أن العيش في غير حماة سيكون أهنأ . وقد ودع النوم مذ ودع بلده . وفارقه الامن والرغد مذ فارقه . وغرامه بوادي حماة تملك مهجته . وقلبه لغير هذا الوادي ما حن . فيا وادي العاصي ابنك يبكي الليل لفراقك . فلا زلت في خير ، يغنيك نسيم الصباح أجمل الالحان . وفي مخيلة شاعرنا البدر من رباه عرائس كساها الندى ثوبا ماست به حسنا . واذا جاء الربيع الطلق هب نسيمه عليها ، فاذا الغصن يستنطق اخاه . ويا بروح شاعرنا ذاك الزمان في حماة ، فقد سقاه من سلافته ، وليس فيما يعطيه من ولا أذى .

حمص ١-٥-١٩٨١

عبد العليم صافي

من الأدب المهجري

منضد الحرف العربي

بقلم : نعمان حرب

— ١ —

يمضي الى ما وراء اللانهاية دون ما جلبة أو ضجيج تاركا وراءه بصماته المطبوعة على جدار الوجود ، المضمخة بنزيف من الدم ، المروية بقطرات من العرق والدموع .

ويتوارى من هذا العالم المتحجر الضاغط ، المتنكر اللاهث وراء المادة . الى عالم روحاني آخر يجد فيه صفاء النفس ونقاء الضمير .

كم ناضل في معركة الحياة ، نضال الجندي المجهول في ساحة القتال . يطلب الشهادة ، ولا يهمه الا النصر . ولا يبالي بالاكاليل المضفورة على جبين القواد ، لانه يسمو بروحه وبوطنيته الى ما فوق النجوم ، ويرنو ببصره وقلبه الى كتاب التاريخ عندما يخلد هذا الانتصار وذلك المجد ؟؟

وكم قسا عليه ابناء الحياة ، وهم يبتلعون اشهى اللقمات من المعاجن التي صنع فيها غذاء الفكر والروح . او يشربون اعذب الجرعات من الدنان الطافحة بالبدائع الممزوجة بالماء القراح المصفى ، من بحور الوحي والالهام ؟؟

وكم وقف وراء محرابه ، بأثوابه الزرية وأنامله المصبوغة ، ووجهه المخضب ، كي يطبع جريدة ، أو يخرج كتابا او يضع لوحة فنية ، أو يرسم صورة سحرية ، ليقف امامها عشاق الفن ورواد الفكر ، وهواة الكلمة ومحبو الحرف ، يتلمسون منها النور والاشعاع .

وكم سهر الليالي وحده ، على ضوء القنديل الخافت ، أو أمام لهب الشمعة الحزينة كي يبرز ومضات الروح ، ويشعل قبسات الفكر ، وينقل ما يجود به العباقرة والفنانون والملهمون . من عالم الخيال الى دنيا الحقيقة والوضوح .

وكم شقي ليسعد غيره . وأعمى عينيه ليبصر غيره . وحطم انامله ليأكل غيره ؟.

وكم تعذب في تعبيد طريق هذا الكائن الحي في مسيرة الخير والحق والجمال ، عندما يضع أمامه الرؤيا الصحيحة والخطوط المثلى ؟

وكم أنكر فضله الجاحدون ، وعقه ذوو الاموال الطامعون ؟ ولم يدركوا — سامحهم الله — انه لولا منضد الحرف لبقى الناس كالدمى المتحركة ، يعيشون

في الظلام ، ويغرقون في الجهالة . وان لولاه لاندثرت الحضارات ، وغاض التاريخ وعاش البشر لغزامبهما.

ولولاه لبقيت العبقريات والمواهب مدفونة في احضان الغياب الطويل . ولبقي العلم والفن والفكر، كلمات وهمسات ، وحدآات في بيداء الضياع المجهول.

— ٢ —

الادب المهجري الخالد الذي يناطح السحاب بشموخه وعليائه ، ويضفي على الدنيا العربية رداءه الموشى باجمل خيوط الخلق والابداع والالهام لم يغفل أي دور يقوم به أي انسان في بناء البنة في صرح الحضارة والفن ويأتي دور منضد الحرف العربي في طليعة الدعائم التي تقوم عليها صروح الحضارة . وفي فقدان هذه اليد الكريمة ضياع وخسارة للعبقرية والموهبة .

— ٣ —

كان الاديب توفيق ضعون رحمه الله ، ينضد الحرف في المطابع التي يطبع فيها مؤلفاته القيمة في سان باولو وقد اضطر لتعلم هذم المهنة والاعتمادعلى نفسه كي ينشر نتاجه . وكان الصحفي سعيد داود فياض ينضد حروف جريدته « نهضة العرب » التي كانت تصدر في مدينة ديترويت في اميركا الشمالية ، وطبعهاعلى الآلة بنفسه . واحتجبت جريدة «الوطن» في الارجنتين طيلة مدة غياب منضد الحرف فيها باجازة في الوطن في السنة الماضية .

— ٤ —

في بلاد الارجنتين كلها ، منضد وحيد للحرف العربي ، هو السيد كمال خطار . وهو شاب عصامي ، يتقد غيرة وحماسة ، ويؤامن بعروبته وقوميته . عاش في بداية حياته بمدينة السويداء ، وتعلم تنضيد الحرف في مطبعة جريدة « الجبل » التي كانت تصدر في السويداء بدء من اول عام ١٩٤٢ حتى عام ١٩٥٩ وهاجر الى الارجنتين ، واستمر في مزاولة هذه المهنة . وكان له فضل يذكر فيشكر بتنضيد وطباعة نتاج الادباء والشعراء والكتاب في تلك البلاد . واخراجها الى عالم النشر والريادة .

فحفظ له الادب العربي هذا الجميل . وقدر له الشعراء والادباء والكتاب امثال عبد اللطيف اليونس صاحب « الوطن » وزكي قنصل شاعر غلواء وحنا جاسر الشاعر الثائر . هذه الايادي البيضاءفنظموا الشعر في تكريم منضد الحرف،وبيان خدمته الجلى للحرف والكلمة في بلاد المهاجر .

— ٥ —

وهذه قلادة وهاجةمن قلائد شاعر العربيةفي المهاجر الاميركية الاستاذ زكي قنصل :

حي المنضد في زري ثيابه
والجم غرورك ان وقفت ببابه

لا تخشين على يديك خضابه
كم شدع نور من سواد خضابه

هذي اليد السوداء أنقى من يد
بيضاء دنسها الحرام بعابه

عيب عيك اذا قرأت صحيفة
ان لا تمجده على اتعابه

بالروح نظرته يموج بها الاسى
وتشير حيرتها الى أوصابه

خنق الاباء دموعه فتفجرت
في صدره نارا وفي اعصابه

الليل يعلم وحده كم زفرة
خرساء اطلقها على محرابه

يا سافحا بين المطامع قلبه
ومجازفا خلف الرؤى بشبابه

أجنيت من دنياك الا علقما
ومن الرجاء الحلو غير سرابه ؟

ماذا فناؤك في محيط جاهل
تتزاحم الاطماع في أبوابه

الشهرة الصفراء غاية شيبه
والشهوة الحمراء حلم شبابه

ضاعت مقاييس الفضيلة عنده
وجرت نسور الفكر خلف ذبابه

لا ترج خيرا من زمانك انه
ذئب يجيش الشر في أنيابه

أمن القوي المستبد بلاءه
وتعرض الحمل الوديع لنابه

فكأنه يطوي العصور القهقرى
ليعيد في الدنيا شريعة غابه

يا حامل الاغلاط عن شعرائه
ومكفكف الزلات عن كتابه

لو كان عند الناس انصاف لما
ضاقت طريق الرزق عن اسبابه

وتجاهلوا قدر المنضد وهو
لا ينفك يغمرهم بفيض سحابه

يغفوا وجلجلة الحديد بسمعه
ويفيق والاوراق ملء جرابه

لولاه لاندثرت حضارات ولم
يفتح لنا التاريخ صدر كتابه

ولكان ماضي الناس لغزا مبهما
تتقاصر الافهام دون حجابه

ولمات ذكر العبقري بموته
ومشى الفناء على العظيم النابه

يا نابش الارماس ينفخ بينها
روح الحياة على هوان ثيابه

لكأن فيك من المسيح بقية
وكأنما تمشي على أعقابه

وكأن من صلبوه لما يبرحوا
يتآمرون عليه في أنسابه

وكأن يوضاس الخيانة لم يزل
يحبو اليه بمكره وكذابه

يا ملتقى الاقلام دونك شاعرا
لم ينس فضلك رغم طول غيابه

ركب الخيال الى حماك يحثه
شوق المحب سعى الى احبابه

فاجعل له في باب كوخك ايكة
يسحب على « الايوان » ذيل اهابه

— ٦ —

وأهدى الشاعر الثائر حنا جاسر ، الى الاديب كمال خطار ، هذه القصيدة وهو أهل لها وبها جدير : وهي لتنطبق على كل منضد حرف .

ويذيب العيون كي تقرأ الفصحى
سحيقا ، وتستمر اشتعالا

فلعمر الآداب ، أنت شهيد
ووحيد ! والقوم لاهون بالا

واكتسى الفن من ذويه جلالا
قهقه المال من ذويه احتقارا

وحياة الانسان دفقة عز
وفداء ، وغير هذا فلا .. لا !

يا رفيق الضجيج ، والحبر ، والقر
طاس ، والصبر والليالي ، الثكالى

خندق الصراع

في يديك الرصاص ، كاللطف ، سالا
فأحله شعرا ، وصغه مثالا

واسكب الفن في قوالب صغرى
تتناغى على الصقيل دلالا

لكأن الحروف في كفك العصماء
سرب من النجوم تلالا

او كأن الحروف جنحها العقل
فغرت من أسرها تتعالى

يا لاعجوبة الاديب يصف الليل
والفجر ، متعة ، ونضالا

لك في خندق الصراع مكان
كالمغاوير ، عزة ، وقتالا

فالذي يطلق الرصاص لهيبا
كالذي يطلق الرصاص مقالا

ساحة الحرف ، ساحة الحرب ، لافر
ق ، هما توأمان روحا وحالا

— ٧ —

هذا الشعر العربي الاصيل : الذي يتميز بالجمال وبالموسيقى المعبرة ، وبالمعنى والمبنى ، سيبقى على مدى الدهر الدرة الوهاجة في جبين الادب العربي .

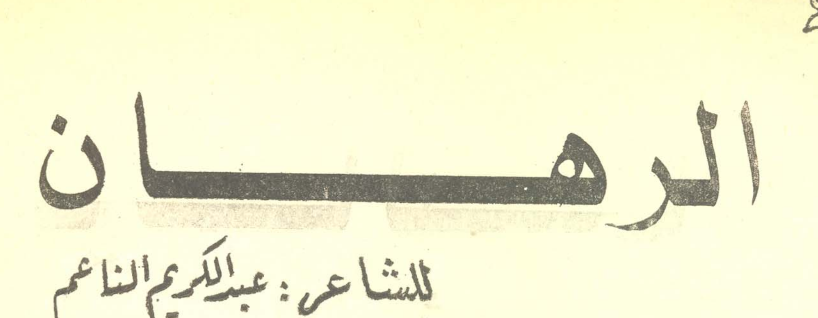
السويداء — نعمان حرب

لغة العيون

شعر: سعيد قندقجي

الله من لغة العيون — هي مثلما شاءت تكون
تعطي وتأخذ ما تشاء — من الغواية والفتون
تغري فيتقد الهوى — تنأى فتشتعل الظنون
في كل خالجة نداء — يستجير به السكون
سر من الوحي المقدس — في مرافئها مصون
لحن من الصمت المغرد — ليس تدركه اللحون
ان واصلت فهي الجنان — وان جفت فهي الجنون
لو قيل: فن قلت — في الأحداق تختصر الفنون
الحب فيها والعذاب الحلو والامل الحنون
اهي المواسم والسفوح الخضر والمطر الهتون
لو غمزة لتفتحت — كل المغالق والحصون
أو موعد لنمت زهور للهوى وزهت غصون
الله ان هي حدثت — فحديثها أبدا شجون
لو قيل اين هو البيان لقلت في لغة العيون

● سعيد قندقجي



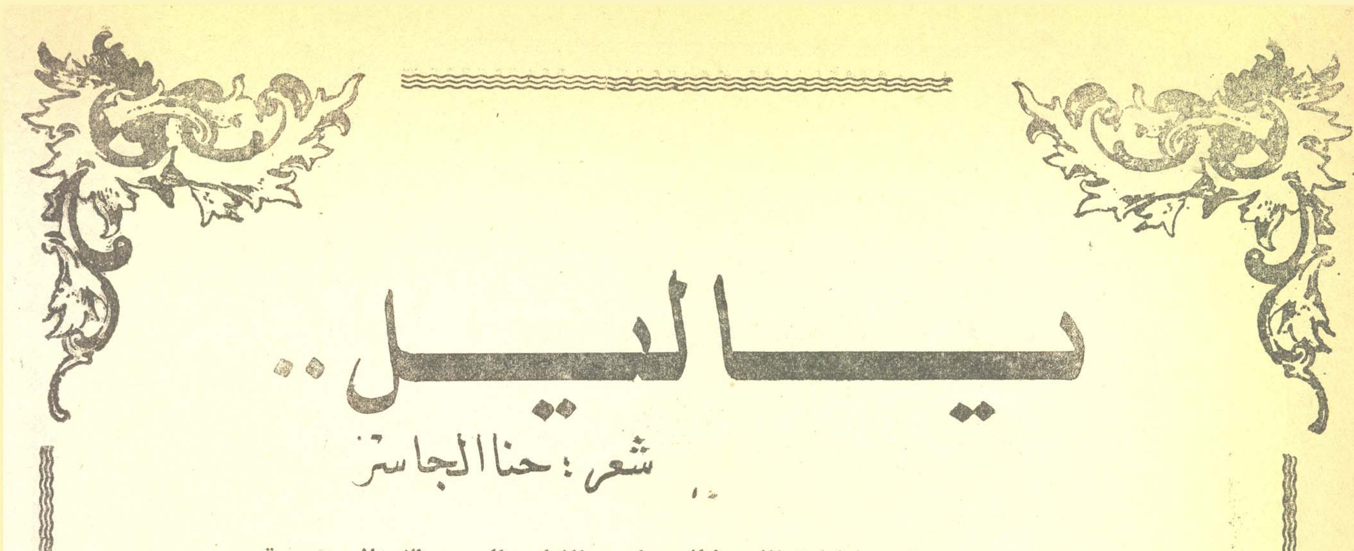
غير المساءات ما أبقت لي الحرق ... فها أنا اليوم في أمدائها : سبق
ملقى الى خاطفات الوقت تعبر بي ... مسالك النزق المكوي ، والشفق
تجري المحطات في نبضي فأفرزها ... لتستجيب اذا حنت لها الطرق
غرقت حتى تدلت كل أشرعتي ... على المراسي ، وحتى ضاق بي الافق
وأسلمتني الى المرجان نضرته ... وغل بي في خلايا مسكه العبق
ورحت..والكأس لا نصحو على لغة ... الا وجدنا في نزوها[1] الشرق
وغرني الزهر فاستهديت رقته ... هذي الوضيئات من آياتها الغسق
كل الأزاهير سكرى في تفتحها ... ووحدة الظل نبض طفولتي:الحبق
أكون أدنى الى موتى اذا ابتعدت ... بي الدروب وأشفى حين نعتنق
جريت حتى شربت الماء من ألق ... وأظمأ المهجة الحرانة الالق
بين السراب ، وهذا الماء سوسنة ... من الغوايات تجلى آن تنعتق
تداخلا يقظة ، حلما ، مخالبه ... فكل ماء سراب آن يتسق
أخطو بعيدا فان كابرت أرجعني ... من الدماء اليه النبض ، والعلق[2]
فاستثار . وأمضي كلما اختتمت ... تجددت فهي حرف عمره القلق
أعدو اليها ، وتعدو ، ما التحمت بها ... الا وأحسست أني كنت أفترق
حتى تبعثرت ، لا أرجو لو ابتدئت ... الا ابتداء جديدا ريه : الغرق
راهنت وهمي على وهمي فخاتلني ... هذا الرهان : العذاب.الشدة.الغلق

٦-٦-١٩٨٠

● عبد الكريم الناعم ـ حمص

١ ـ نزا ينزوا : نزف دمه وجرى
٢ ـ العلق : الهوى ، والحب





يا ليل..

شعر: حنا الجاسر

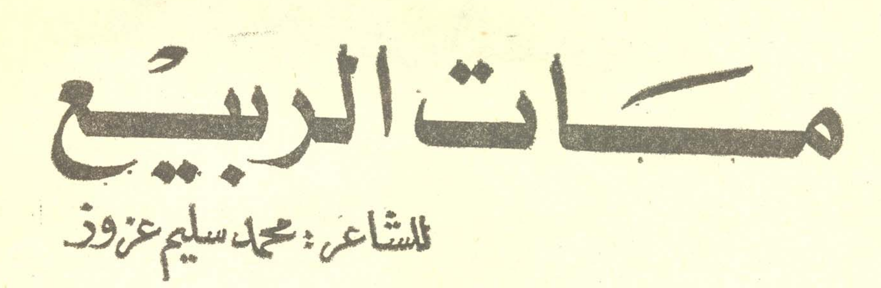
« من وحي ديوان (يا ليل) الذي تلطف صاحبه الشاعر المبدع الاستاذ مدحة عكاش وأهداه الي » .

يا « ليل » مدحة ! والايام ماحلة ... في مهجري .. لا ضحى فيها ولا سمر
هبطت كالبلسم الشافي على زمني ... تحنو عليه الى أن عاد يزدهر
أيقظت في حنينا كدت أفقده ... ورقة في شغاف القلب ، تحتضر
كرجفة الحلم .. في أبياتك ارتعشت ... روحي .. وشعشع في ظلمائي القمر
عبت من نبع موسيقاك ملء فمي ... فاحتج ، يزداد منها ، السمع والبصر
واستوقفتني حسان الحب .. ألمحها ... فوق الحروف .. تهادى ثم تنحسر
كأنما شعرك الغاوي يدغدغها ... فتستميت دلالا .. ثم تستعر !

★ ★ ★

يا ليل ! يا ليل ! آهات تمزقني ... وأرتضيها ! وبعض الوجد يفتقر
تراهقت ذكريات العشق عبر دمي ... واغرورق الامس في عيني ينتحر
هرعت أسأل عن ليلي وعن سحري ... ولا جواب ، ولا ليل ، ولا سحر
الا صقيع النوى يجتاح ذاكرتي ... وهجرة تزدري سؤلي .. وتحتقر
أجتر من حبي الماضي بقيته ... فالحب في الغرب وصل ثم يندثر
واشتهي جلسة في الشام سامرة ... تعيد من عمري .. ما ضيع العمر
أين التفت .. وجوه ملؤها طرب ... وكلما أنّ عود .. صفقت زمر
وحولي الصحب : ألحاظ متيمة ... تغزو الشفاه استراقا ثم تعتصر
أشاوس قسمت أرواحهم ولها ... بين الغرام وبين الثأر اذ سمروا
وفاتنات ، كرايات الصمود ، على ... أعناقهن تدلى الغنج والكبر

الارجنتين — حنا جاسر



قد كنت تمتلكين مني صبوتي … وتفاؤلي في غضبة الازمان

والسهد في عيني يسبح هائما … وتبعثر الاحلام .. والايمان

وحلاوة الهمسات في فجر أتا … نا باسما ومورد التيجان

قد كنت تمتلكين شعري والانا … وقداسة الاشواق والتحنان

لكنما تلك الطقوس تبدلت … وغزا السفين مرافىء الكتمان

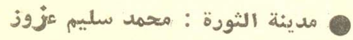
فتضوع السر الذي تخفينه … والطل ودع أيكة الريحان

أو بعد هذا ترجعين لتقسمي … والجرح في يصب كالبركان

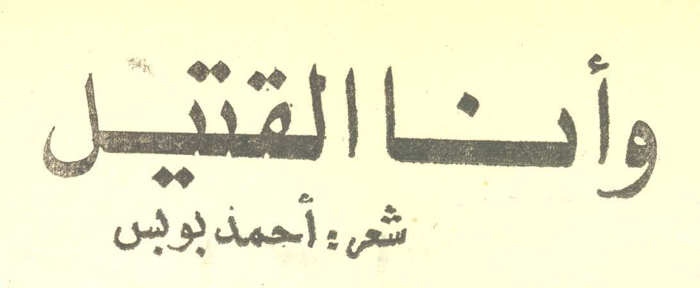
أنا لن أعود لوردة جف الشذى … في تاجها المتقلب الالوان

تأبى عيوني انتعيرك طرفها … والشوق أضحى دامي الاجفان

مات الربيع وزهره فلتعلمي … ولترقدي في عالم النسيان







وأنــا القتيــل

شعر: أحمد بوبس

القاها الشاعر في مهرجان الفاتح الشعري في طرابلس في ليبيـــا

هـذي شرابيني حبـال مشانق ... وأنـا عـلى حبـل الوريد قتيل
والنزف من دمي المباح شرابهـم ... وطعامهم جسدي به مجبـول
غرسوا رماحهم بجرح مرارتـي ... لهبـا تلظى والفـؤاد غليـل
وتمزق عـادت جميـع قبائلي ... فخرائط .. وشراذم .. وفلـول
والارض امطرت السمـاء بحقدها ... فازور حر .. واستجير ذليـل
في كـل قلب ألف ألف هزيمـة ... في كـل صوت بحة وعويـل
وعلى امتـداد الارض موت دائـم ... هل كلنـا في موتـه هابيـل
ومن المحيط الـى الخليج عجائب ... لا الفلسفات لها .. ولا التحليـل

★ ★ ★

يا قدس غـام الدرب في أحداقنـا ... كيف المجيء .. ومـا لدي دليـل
يا قدس..ها سدت جميع نوافذي ... والليل باق .. ما لـه تبـديل
صدئت تواريخي .. وتوت بحملها ... ما عاد يجدي الشرح والتأويـل
ما عـاد عمرو العاص يسرج فاتحا ... وأبو الفوارس بالطعان بخيـل
وسلاحنـا ورق وحبر زائف ... وقصائـد مبتورة .. ورحيـل
جف الكلام على شفاه قصائـدي ... وتيبس التجويـد والترتيـل

★ ★ ★

وطني .. لئن فجرت جرحك داميا ... فلأن تاريخـي دم مطلـول
ولان أرضي أقحلت برجالهـا ... صـوت يجلجل والفعال قليـل
ولان قلبـي صار ألف مشـوه ... ما عاد يجدي قلبـي التجميـل

● دمشق : احمد بوبس

أفرع دم الشهداء

شعر: مجيب السوسي

ألقيت في ذكرى شهداء السادس من ايار

يممت وجهي قاسيون .. متيما   وبنبض قلبي الحب .. والاحباب
هو ذا يطل .. جبينه متألق   عزا ، وكأس مدامه الاطياب
ويداه تسكنها السيوف .. فكلما   برقت .. شدا التاريخ والكتاب
قدمت اليه الشمس ، فهي سفيرة   وتبادلا غررا .. بها الانساب
وتوضأت في مقلتيه قلائد   من أنجم ، وامتاح منه سحاب
يا قاسيون .. اعتاد وجهك خافقي   وعليك أدمنت ـ الهوى الاحقاب
فرح دمشقي انا .. ومرابعي   تزدان من ألوانها الاثواب
فهنا يقول الماء : اني أخضر   منذ انبجست ، وأنهري أعناب
وهنا صهيل الخيل يملأ رجعه   سمع الدنا ، فالعاديات غضاب
وهنا تعيد القادسية ساحها   ويحضها من ميسلون جواب
حمراء تربتها دمشق .. لانها   منذ الولادة قلعة وحراب
لا يترك التاريخ أرض عروبتي   فدم الشهادة مده المسكاب
من كل زاوية تناسل فارس   يهوي لوقدة ناظريه شهاب

★ ★ ★

أيار يحبل بالشموس .. وظنهم   اذ أعدموهم .. تغلق الابواب
يا أيها السفاح حقدك آثم   أتغير الطبع اللئيم ذئاب ؟



أفرع دم الشهداء..عشقك واضح   للشمس ، تشهد عشقنا الاحقاب
البرتقال بحضن يافا مزهر   بدم الشهيد ، وزعتر معشاب
والقدس تفتح جرحها وحروقها   فتنز من أعطافها الاعصاب
شنقوا الحجارة – ويحهم – فعروقها   عربية ، أو تنضب الاصلاب ؟
افتح دم الشهداء باب قوافلي   ما دام فوق ترابنا أغراب
نهدى بوهجك لا الضغوط تردنا   قسرا ، وليس يخيفنا ارهاب
عطر الدم المسفوح فوح مسامنا   ورحيقنا – عبر الزمان – خضاب
يا نسوة الارض السليبة أينعت   « تغريد » روضة أسيف تنساب
هي ذي تمد على الموانىء وهجها   فحصارهم لهب العناد .. سراب
وتعيش فارسة الخلود ملاحما   فينا ، ويشمخ عزها .. ويهاب
يا موطن الصرح العصي تناوبت   زمر البطون عليك ، والانياب
لهثوا طويلا حول سورك ، واثنوا   قهرا ، فدون الطامعين صعاب
غصص دم الشهداء في رغباتهم   وخناجر بعيونهم .. وحراب

★ ★ ★

يا موطني بهواك أملأ خافقي   وبدفء صدرك أنتشي وأذاب
كحلت من عينيك لهف قصائدي   فتعطرت بحروفها الاهداب
وشممت تربك فالتقيت بخالد   وبطارق ، فتعانق الغياب
أربا بي الشوق الملح .. فعادني   حلو الطيوف ، وسالف خلاب
بردى يصفق في دمي ، ونشيده   خمر تشهت طيبه الاعناب
والجامع الاموي بوح مشوق   يفضي فيؤنس .. بوحه اطياب
طوقت تاريخي ، ولذ مذاقه   في دفق أعراقي هوى وشراب
وسخاء من وهبوا الدماء رخيصة   يندى ، فتورق في الذرى الاحقاب

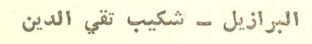
مجيب السوسي



رسالة عاطفيّة

شعر : شكيب تقي الدين

ان تسائل قلوبنا فتحية ... لك فيها كريمة اخويه
اكدتها الايام عمقا وبعدا ... وجمالا وقوة - وحميه
طر بها آمنا الى الاهل واهد ... القطر منها المحبة المهجريه
اولا سيدي الرئيس ومن في ... القطر يرعى القضية العربيه
ثانيا من نجله أبد الدهر ... وتحدو بذكره البشريه
قدوة الصامدين مجدا وفخرا ... ومثال الفداء - والوطنيه
من « كسلطان » ان دعيت الى ... الحق امام السدانة العلويه
ثالثا من يداعب الحرف فنا ... ثم يجلوه لوحة فنيه
قد عرفناه كاتبا وأديبا ... وصديقا للعصبة الادبيه
هو « نعمان » قل له ما تزال ... النفس نشوى بهذه الاريحيه
رابعا صاحب النديات في ديوان ... « يا ليل » والمعاني النديه
هو « عكاش » شاعر الحب والفن ... وحاوي الجوانح الشعريه
خامسا من تحبهم يا أخ الصدق ... حماة لقيمة أو قضيه
واخيرا اذا استبد بك الشوق ... الى مثل هذه الامسيه
واردت الرجوع طبعا الينا ... رافلا في عباءة عطريه
عد بها رية تخال اذا ما ... فاح فينا عبيرها سوريه
واذا شئت ان تخفف عني ... حدة الشوق بكرة وعشيه
قبل الارز عن فؤادي وجئني ... من علاه بنفحة أرزيه


البرازيل — شكيب تقي الدين




وإذا دخلت الشام...

شعر : شفيق عبد الخالق

يا من تعود الى العرين كضيغم ... يهفو لمأساة الصمود ويستمع
قل للذين على الصراع تمرسوا ... وبلهفة كرمى الجهاد تطوعوا
في المهجر النائي قلوب تلتظي ... هممًا لتحرير الحمى ، تتضرع
ستعود للوطن الذي سهروا على ... عليائه شهب ، وشعب مبدع
واذا دخلت الشام فانشق طيبها ... فالنفس من طيب العلى لا تشبع
وانشد فلسطين الجريحة مقطعا ... ولثورة التحرير يزهو المطلع
واذا مررت بميسلون فضمها ... عن كل مغترب يحج ويرجع
واذا مررت بقرب مزرعة الابا ... وسيوفها عمد العلى تتفرع
فلعل من اثر الجهاد ملامح ... تبني بأنا لا نذل ونركع
وبكل مرتفع تهزك نشوة ... والى حديث مهاجر تتسمع
فانثر على المتسائلين حنيننا ... شوقا كاطياب الشذى يتضوع
واحمل اذا ما عدت شوقا لاهبا ... فيه من الشمم العنيد تطلع
واحمل شذى الشعر الرقيق ورده ... من حيث يغترف البيان ويجرع
فبكل قافية تعلة نسمة ... من ارز لبنان الجميل تشبع
واذا استبد بها العدى وتلهفت ... بردى الذي يشفي الغليل وينقع

أنا لست احسدك المقام وانت في
نظري ومعتقدي أعز وارفع

لكنما الحسد الوحيد زيارة
البلد الذي فيه البطولة تصنع

ستقر عيناك الجياع لارضه
ولشعبه ولثورة لا تهجع

لا المال يطربني ولست بطامع
الا بأوطان تعز وتمرع

فزرعت عاطفتي بارضي جمرة
تبا لمن لا يستشار ويزرع

• • •

وطني بكل حدوده وصموده
باب لعشاق الصراع مشرع

يا موطن النسمات والعبق الندي
عين الغريب وان شكت لا تدمع

ما دمت يا وطن الصمود معاقلا
ومآسدا فالمجد لا يتصدع

فاذا بعدت عن العيون وطيفها
فالعين ان بعدت تحس وتسمع

فبكل مغترب جوى وتلهف
وعواطف تذكو وجرح موجع

ها نحن والدهر العنيد تنافس
والشوط محتدم يصول ويمنع

والسبق للامل الفسيح ودهرنا
سيذل عند الغائبات ويجزع

• • •

والليل يفضحه الصباح ويختفي
عهد المذلات الذي لا يشفع

لكن وجه القدس رغم شحوبه
سيعود للون الصبوح ويسطع

فانقل لسوريا امانة ثائر
شعرا من الالم المفجع ينبع

واذا سئلت فاننا كنجومها
رسل على الكون الفسيح توزعوا

● البرازيل




دور ابن المقفع في تطوير الكتابة العربية

مالك ياسين

في حياة ابن المقفع ـ على الرغم من قصرها ـ شيء من الاضطراب مما جعلها غير مطردة المعالم امام أعين الباحثين ، ووالده فيما تروي الكتب ـ واسمه « داذويه » رجل فارسي على دين المجوس ، كان عليما بشؤون الحسبة والخزانة ، وكان في عداد الذين اعتمد عليهم حكام بني امية في ادارة شؤون ملكهم ، اذ تولى خراج فارس من قبل الحجاج وقيل ان الحجاج امر يوما بضربه في البصرة ـ لمال اختلسه ـ حتى تقفعت يداه فعرف بالمقفع ، وعرف ابنه بعده بابن المقفع .

مولده ونشأته :

وقد انجب داذويه ـ المقفع ـ في خلافه هشام بن عبد الملك (١٠٦ هـ ـ ٧٢٤ م) ولدا اسماه « روزبه » وتعني في الفارسية « المبارك » (١) وكان مولده في بلدة بفارس اسمها « جور » على مقربة من شيراز وتعرف اليوم باسم « فيروز آباد » واليها ينسب نوع من الورد المعروف بالجوري .

وقد نشأ ابن المقفع ـ على أغلب الظن ـ برعاية ابيه في بئيته الفارسية اول الامر ، قبل ان ينزح الى العراق ويتخذ من مدينة البصرة مقاما له . ولعل هذه النشأة هي التي تفسر اطلاع ابن المقفع على ثقافة قومه الفرس وتأثره بمذاهبهم (٢) .

نباهته :

وفي البصرة التي تزدحم محافلها بالعلماء والادباء والمتكلمين ، وحيث سوق المربد ـ عكاظ الاسلام ـ اتيح لابن المقفع ان ينفتح على تراث العرب وافكار المسلمين ، وان يعب من ثقافة عصره مايشاء ، وقد زاد من هذه الفرصة الذهبية اتصاله ببنى الاهتم ـ ذالكم القوم الفصحاء ـ ولم يمض على ابن المقفع زمن يسير حتى ذاع امره في اوساط الفصحاء والبلغاء ، وانفتحت له بذلك ابواب الولاة والكبراء .. وغدا يتصدر الكتابة في العديد من الدواوين ، ومن أبرز من كتب لهم « يزيد بن عمر بن هبيرة » الذي تولى شؤون العراق من قبل مروان بن محمد آخر خلفاء بني امية ، وقيل انه كتب بعد ذلك لاخيه داوود بن عمر بن هبيرة ، وربما كتب ـ قبل ذلك ـ لابيهما عمر بن هبيرة عامل بني امية على « كرمان » وفي هذه المدة انعقدت بينه وبين عبد الحميد بن يحيى ـ كاتب الخليفة مروان ابن محمد ـ مودة راسخة (٣) .

وخلال الطور الآخر من حياة ابن المقفع ـ في ظل الدولة العباسية الحديثة ـ كان عليه ان يساير روح المرحلة الجديدة ، فراح يتصل برجال الدولة ، واخذ يفكر في اعتناق الاسلام ، وصار كاتبا لسليمان بن علي عم الخليفة المنصور وعامله على البصرة ، ولاخيه اسماعيل بن علي والي الاهواز ثم الموصل واصبح مؤدبا لاولاده ، كما كتب لاخيهما

عيسى بن علي والي العباسيين على « كرمان » وعلى يدي عيسى هذا اعتنق الاسلام .

اعتناقه الاسلام :

رغب ابن المقفع باعتناق الاسلام وافضى برغبته هذه الى عيسى بن علي ، وكان كاتبا لديه فقال له (لقد دخل الاسلام الى قلبي واريد ان اسلم على يديك) . وقال له عشية ذلك اليوم ، فجلس ابن القواد ووجوه الناس ، فاذا كان الغد فاحضر) ثم حضر طعاما لعيسى عشية ذلك اليوم ، فجلس ابن المقفع وشرع يأكل ويزمزم - على عادة المجوس - فقال له عيسى باستغراب (اتزم وانت على عزم الاسلام ؟) فأجابه : (لقد كرهت ان ابيت على غير دين) .. فلما اصبح اسلم على يده ، وصار كاتبا له واختص به (٤) وتسمى منذ ذلك بعبد الله وتكنى بأبي محمد .

ابن المقفع رائد مرحلة جمعت بين الترجمة والتأليف

ثمة مرحلة واضحة - في تاريخ الكتابة العربية - جمعت بين الاصالة والترجمة والتصنيف ، بعد ان كانت الساحة مقتصرة على الكتابة فقط ، وليس غريبا أن نقول: ان ابن المقفع يمثل اشهر روادهذه المرحلة الهامة . والجدير بالذكر أن ابن المقفع لم يعمد الى التصنيف ولم يتجه الى الترجمة الا بعد ان اتقن اللسان العذب الجديد الذي اكسبه ثقافة عربية عميقة ، وقد سئل يوما : ما البلاغة ؟؟ فقال : (البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة فمنها مايكون في السكوت ومنها ما يكون في الاستماع ، ومنها ما يكون في الاشارة ، ومنها ما يكون في احتجاج ، ومنها ما يكون جوابا ، ومنها ما يكون ابتداء ، ومنها ما يكون شعرا ، ومنها ما يكون سجعا وخطبا ، ومنها مايكون رسائل) .

وليس من شك الى هذا التعريف للبلاغة لا يصدر الا عن ذهن متفتح يقتل السؤال بحثا قبل ان يجيب على السائل : انها نفسها - الاجابة هي الحكمة المأثورة : (البلاغة مطابقة القول لمقتضى الحال) . ولكن هذه الاجابة - الاخيرة - يعوزها ذلك النمط التعليمي التفصيلي الذي قدمه ابن المقفع . ولكن ينبغي ان يفوت قارئنا الكريم ان ابن المقفع لم يكن مؤلفا ، بل رائدا مثل مرحلة جمعت بين الكتابة والترجمة والتصنيف (٥) و (٦) .

صلاته بأئمة عصره :

تذكر الروايات ان ابن المقفع كان صديقا حميما لعبد الحميد الكاتب الى حد انه اراد ان يفتديه بنفسه حين قبضت الشرطة على عبد الحميد ، وكان كلاهما مختبئا في منزل واحد . وعندما سأل الشرطي من منكما عبد الحميد ؟؟ فقال كل منهما في نفس الوقت « أنا عبد الحميد » الامر الذي اوقع الشرطة في حيرة ، اذ كل منهما يصر على انه عبد الحميد ، واخيرا يحسم عبد الحميد الموقف بابداء علامة في جسده كان معروفا بها ، فألقي القبض عليه ثم سيق الى حيث حوكم .

وثمة رواية اخرى تذكر لقاء جرى بين الخليل بن احمد وعبدالله ابن المقفع اذ جلسا يتحادثان ثلاثة ايام ، ولياليهن فقيل للخليل : كيف رأيت عبدالله ؟؟ فقال : مارأيت مثله ، وعلمه اكبر من عقله ، وقيل لابن المقفع : كيف رأيت الخليل ؟؟ فقال : ما رأيت مثله : وعقله اكبر من علمه(٧) .

اما رأي المهدي « الخليفة العباسي » بشخصية ابن المقفع ففيه ما يدعو للدهشة والاستغراب اذ قال فيه (ما رأيت كتاب زندقة قط الا واصله ابن المقفع) (٩) .

بل هناك من يروي ان ابن المقفع كان اذا مر على بيت النار الخاص بالمجوس - بعد ان اسلم - تمثل بقول الاحوص :

يا بيت عاتكة الذي اتعزل
حذر العداوة والفؤاد موكل

اني لامنحك الصدود وانني
قسما اليك مع الصدود لاميل

وفي هاتين الروايتين - كما يبدو - اشارة واضحة الى ان نوازع ابن المقفع بقيت تميل الى اصلها على الرغم من المكاسب العديدة التي غنم بها ابن المقفع من الثقافة الاسلامية ولكن لسنا نطمئن كثيرا الى هذا الاستنتاج اذا سلمنا بأن ابن المقفع قد تمثل حقا بهذين البيتين على ملأ من سامعيه دون ان يخشى عاقبة قوله الخطير (٩) .

آثاره :

تتجلى منزلة ابن المقفع في انه من ابرز المترجمين الذين نقلوا جانبا من التراث الفارسي الى لغة العرب (اذ حاول ان ينقل الى العربية خير ما عرفه في لغته الفارسيه ، سواء اكان ما عرفه فيها فارسيا خالصا أم كان يونانيا ام كان هنديا) (١٠) على انه بالاضافة الى ذلك كان كاتبا بليغا ومنشئا فصيحا امتاز بجودة

الاسلوب وبراعة التعبير .. وهذا ما جعل ابن المقفع اديبا بل في طليعة ادباء عصره وليس مجرد مترجم ناقل كشأن الكثيرين ممن نقلوا وترجموا) (١١) .

وتشكل الكتب والرسائل المترجمة من الفارسية الشطر الاكبر من نتاج ابن المقفع ، ويرجح بعض الكتاب المعاصرين ان ابن المقفع آنس من نفسه ميلا الى ما اطلع عليه من ادب قومه ، فجنح الى تعريبه من تلقاء نفسه دون ان يصدر في ذلك عن تكليف من احد اولي الامر او ذوي الشأن في عصره خلافا لما كان من امر كثير من المترجمين والنقلة في العصر العباسي (١٢) وقد نسب ابن النديم الى ابن المقفع الكتب التالية (١٣)

خداينامة – آيين نامة – كليلة ودمنة – مزدك – التاج في سيرة انو شروان – الادب الكبير – الادب الصغير – اليتيمة في الرسائل ويذكر آخرون لابن المقفع رسالة الصحابة ، ويضيفون كتبا عديدة اخرى (١٤) .

وكتاب « خداينامة » من اهم الكتب التي ترجمها ابن المقفع عن الفهلوية ، وقد حملت الترجمة العربية اسم « سير الملوك » او « سير ملوك الفرس » وينطوي على جانب من تاريخ الفرس ممتزجا بسير بعض ملوكهم وبقصص تتصل بالاساطير الدينية المأخوذة من كتاب « اوستا » لزرادشت . وقد ضاع كتاب ابن المقفع كما ضاع ايضا اصله وبقيت منه شذرات في بعض مصنفات المؤلفين العرب « وقد اعتمد الفردوسي على هذا الكتاب في تأليف ملحمته الشعرية الشاهنامة » (١٥) و (١٦)

والكتاب الآخر الذي ترجمه ابن المقفع يسمى « آيين نامة » وهو في انظمة الملك والدولة الساسانية وقد بقيت منه مقتطفات كثيرة في كتاب التنبيه والاشراف للمسعودي ، وعيون الاخبار لابن قتيبة .

اما كتاب « التاج » فهو في سيرة انو شروان ، وثمة شكوك حول نسبة هذا الكتاب الى ابن المقفع وبعضهم يجعله للجاحظ وهو غير متوفر ايضا(١٧) .

وكتاب « مزدك » يبحث في العقائد ، ويرى بعض المؤلفين القدماء انه انطوى على كثير من الافكار التي تغاير الاسلام ، وانه كان من اسباب اتهام ابن المقفع بالزندقة(١٨) . وقد نسب المؤرخون القدامى الى ابن المقفع كتبا اخرى ولكنها ذات طابع مختلف ، وكان قد نقلها عن اليونانية وهي جميعها لارسطو ، وتتصل بالمنطق وانها اسمه « قاطاغورياس » أي المقولات والثاني اسمه « باري ارمينياس » اي العبارة ، والثالث «انالوطيقا» أي تحليل القياس ، وينسبون اليه كتابا رابعا هو « ايساغوجي » أي المداخل الى المنطق من تأليف فرفوريوس الصوري .

ولكن على اغلب الظن ان ابن المقفع قد نقل هذه الكتب الاغريقية من اللغة الفارسية ، ولم ينقلها عن اليونانية مباشرة ، اذ ليس هناك ما يشير الى معرفته بهذه اللغة

والمجموعة الاخيرة من آثار ابن المقفع يكاد يكون عليها المعول في شهرة ابن المقفع ومنزلته في التراث العربي (١٩) وهي ادبية الطابع وقد اولاها العرب في القديم عنايتهم البالغة ، الادب الكبير والادب الصغير ورسالة الصحابة وكليلة ودمنة .

ولا غرو ان هذه الاثار هي التي طبعت ابن المقفع بطابع الاديب والكاتب والمنشيء . فعلى الرغم من اعتقادنا بأنه استمد كثيرا من مضمونها من تراث الفرس ، فانه لم يكن فيها مجرد ناقل كما كان شأنه مثلا تجاه كتب الاغريق التي عمد الى نقلها هو وسواه تلبية لحاجة العصر ، حين اقتضى الامر الوقوف على جوانب ضرورية للحياة العقلية الناشطة في ذلك الطور من تاريخ العرب . اما ترجمة جوانب من الادب الفارسي فتنطوي على منحى خاص يتجلى بالنسبة لابن المقفع في انه ادب قومه فهو منفعل به مكبر لشأنه ، ولهذا كان متحمسا له حريصا على نقله.

ولا شك في ان ابن المقفع الذي استعرب واعتنق الاسلام ، وعاش بين العرب ادرك بفطنته ضرورة جعل ما ينقله ملائما لعصره وبيئته ولذلك عمد – حتى في خلال ترجمته – الى التصرف وذلك لجعل النص الجديد سائغا .. وثمة رأي يميل الى ان ابن المقفع كان يتصرف في النقل ايضا بحيث تخرج العبارة من كلمة متسمة بالطابع العربي دون ان تبدو عليها وطأة النقل ، وهذا ما رجح عندهم – قولهم : ان ابن المقفع لم يكن مترجما ولكنه كان معربا(٢٠)

نهايته :

ذكرنا في فقرة سابقة ان اعتناق ابن المقفع للاسلام كان على يد « عيسى بن علي » وقد ظل – ابن المقفع – يعمل في خدمته ... ثم حدث ان ثار عبد الله بن علي على عمه الخليفة ابي جعفر المنصور، وكان يأمل ان تؤول اليه الخلافة يوما ، ولكن هذا الامل لم يتحقق اذ خيب السفاح امله ، وعقد الخلافة من بعده لاخيه المنصور .. وقد وجه

المنصور اليه ابا مسلم الخرساني فأخمد ثورته وشتت انصاره ، ففر عبد الله ولاذ بأخوته سليمان وعيسى في البصرة ... وعندما ألح ابو جعفر في طلبه راح الشقيقان يتكاتبان مع عمهما بشأن التماس الصفح عن اخيهما عبد الله ، واقترحا عليه أن يؤمنهما على عمه ، فرضي الخليفة ثم عمد عيسى الى كاتبه ابن المقفع يطلب منه ان يدبج كتاب الامان المراد ويقال انه اوصاه بأن يتشدد فيه دفعا لاي لبس قد ينفذ منه ابو جعفر لالحاق الشر بعمه المتمرد ، ولكيلا يجد منفذا للاخلال بعهده(٢١) ولما قرأ المنصور كلام الرسالة تملكه الغضب واستبد به السخط ، ولما سأل عمن كتبه قيل له : انه ابن المقفع . فقال : « اما احد يكفينيه؟» وفي رأي آخر ، قيل ان أبا جعفر اوعز الى عامله الجديد على البصرة « سفيان بن معاوية » بأن يقتل ابن المقفع ، وكان الخليفة قد عزل عمه سليمان بن علي عن ولاية البصرة بعد ثورة اخيه عبد الله ، وعين عليها سفيان بن معاوية . وفي رأي ثالث أن سفيان هذا هو الذي ابدى استعداده لقتل ابن المقفع في مجلس ابي جعفر ، لانه كان يحقد عليه بسبب سخرية ابن المقفع منه واستخفافه به(٢٢) فانتهز فرصة قدومه اليه ذات مرة ، وجعله امام تنور مستقر : أخذ يقطع جسده ويرمي باجزائه في النار ، حتى اتى عليه ثم اطبق عليه التنور وقال له : « والله يا ابن الزنديقة ، لاحرقنك بنار الدنيا قبل نار الآخرة » . وفي رأي أخير ان سفيان لما امر بقتله قال له ابن المقفع : « والله انك لتقتلني فتقتل بقتلي ألف نفس ولو قتل مئة مثلك ماوفوا بواحد » ، ثم قال :

اذا مات مثلي مات شخص
يموت بموته خلق كثير

وانت تموت وحدك ليس يدري
بموتك لا الصغير ولا الكبير

وكانت نهاية ابن المقفع حوالي سنة (١٤٢ هـ ، ٧٥٩ م) ومن الباحثين من يعزو مقتل ابن المقفع الى عوامل اخرى ، من بينها زندقته وهكذا نرى ان الغموض يحيط بمقتل ابن المقفع كما يحيط بكثير من نواحي حياته ، ومن ذلك سنة ولادته وسنة قتله ، ثم صحة اسلامه وقضية زندقته ، ثم مدى اخلاصه أو شعوبيته .. كما نرى في الوقت نفسه انقسام المؤرخين القدامى والمحدثين حول شخصية ابن المقفع فمنهم من يرفعه الى الاوج ، ومنهم من يهبط به الى الحضيض ..ولكن على الرغم من ذلك كله يبقى ابن المقفع ــ في حد ذاته ــ ظاهرة واضحة المعالم في مرحلة التصنيف والترجمة لم تزل بصماتها مدونة في سجل تراثنا العربي الحافل .

● مالك ياسين

الحواشي :

١ ــ ثمة شكوك حول سنة ولادة ابن المقفع فكثير من الكتاب يذهبون الى ان آثار ابن المقفع ليست من نتاج رجل عاش ستا وثلاثين سنة ، وانما من عمل رجل عمر ستين سنة (انظر امراء البيان) محمد كرد علي ٨٧

٢ ــ انظر ملامح النثر العباسي د . عمر الدقاق .

٣ ــ نفسه ٢٦

٤ ــ انظر ابن المقفع ــ حنا الفاخوري ١٢

٥ ــ انظر مناهج التاليف عند العلماء العرب د . مصطفى الشكعة .

٦ ــ من التجاوز البالغ اعتماد ابن المقفع مؤلفا .

٧ ــ البيان والتبيين ــ الجاحظ ١/١١٥ ــ ١١٦

٨ ــ انظر أمالي المرتضى ١/١٢٦

٩ ــ لسنا الآن بصدد الحديث عن شعوبية ابن المقفع ، لاننا سندع ذلك الى بحث خاص بعنوان : « حول شعوبية ابن المقفع » .

١٠ ــ الفن ومذاهبه في النثر العربي د . شوقي ضيف ١٣٨

١١ ــ انظر ملامح النثر العباسي د.عمر الدقاق ٤٩

١٢ ــ نفسه ٥٠ ــ ٥١

١٣ ــ الفهرست ــ ابن النديم ١٨١

١٤ ــ انظر كتاب ابن المقفع ــ عبد اللطيف حمزة ١٣٦ ــ ١٣٧

١٥ ــ انظر كتاب ابن المقفع ــ محمد غفراني الخراساني ١٧٣

١٦ ــ الفن ومذاهبه في النثر العربي ــ شوقي ضيف ــ ١٣٨

١٧ ــ انظر هذا الجانب مفصلا من آثار ابن المقفع في كتاب « عبد الله ابن المقفع » ــ محمد غفراني الخراساني ١٥٩ــ١٨٤

١٨ ــ اورد بروكلمان في تاريخ الادب العربي كشفا بأسماء مؤلفات ابن المقفع مع وصف لها ، انظر الترجمة العربية ــ عبد الحليم النجار ــ ٣/٩٣ ــ ١٠٢

١٩ ــ ملامح النثر العباسي ٥٢

٢٠ ــ نفسه ٥٣

٢١ ــ انظر نص الكتاب في ــ الوزراء والكتاب للجهشياري ــ ٢٠٤

٢١ ــ يقال ان ابن المقفع كان يسخر من انف سفيان الكبير فاذا دخل على مجلس بادره بالقول « السلام عليكما ، اي عليه وعلى انفه » .

أبو سلمى: زيتونة فلسطين

نزار وجيه فلّوح

— ١ —

في صبيحة الحادي عشر من هذا الشهر من العام الماضي ، سقط نسر فلسطيني شامخ ... هوت زيتونة من فلسطين بعد ان ملأت الارض خيرا وعطاء وظلا ....

انه شاعر فلسطين أبو سلمى (عبد الكريم الكرمي) ...

انه الجذع الذي ازهرت على افانينه أغنيات شعراء فلسطين .. وقد تشبث أخيرا بالتراب ملبيا دعوة الارض التي وهبها حياته وشعره ، فاستقر خالدا فيها تاركا لنا تراثا متدفقا من الشعر الوطني القومي الذي كان عصارة معاناة جيل كامل لاخطر أنواع الفجائع وأقصى ظروف النضال ..

ولد الشاعر ابو سلمى في مطلع هذا القرن ، وعاش كل المحن العربية المعاصرة ، ويوم نكبة فلسطين عام ١٩٤٨ حمل مفاتيح بيته ومكتبه وغادر عكا الى دمشق ، على أمل أن يعود سريعا الى وطنه ، كما وعدت الدول العربية شعب فلسطين آنذاك ، ولكنه مات والمفاتيح ما تزال تنتظر ..

— ٢ —

كانت ولادته عام ١٩٠٧ في مدينة طولكرم ، حيث درس في مدارسها الابتدائية قبل انتقاله الى دمشق ليكمل دراساته العليا — عمل مدرسا في القدس وساهم في الاذاعة الفلسطينية حيث كان يعمل هناك أخوه في الكفاح الشاعر ابراهيم طوقان — وخلال هذه الفترة التحق أبو سلمى بمعهد القدس ونال شهادة المحاماة وظل يمارس عمله فيها حتى النكبة ...

نزح ابو سلمى من حيفا الى عكا فدمشق عام ١٩٤٨ وعن تلك المرحلة يقول :

« وبتاريخ ٢٨ نيسان ١٩٤٨ غادرت عكا الى دمشق عن طريق ترشيحا الجبل ومعي مفاتيح البيت والمكتب للعودة السريعة خلال أسبوعين كما وعدت الدول العربية ولكن عكا سقطت في أيدي الاعداء ، وبقيت البلاد تتساقط واحدة تلو الاخرى وتتساقط معها الكرامة العربية ، ولاتزال المفاتيح تنتظر العودة مع أصحابها الى فلسطين »

وانتقل الشاعر الى دمشق وعمل مدرسا وتبوأ عدة مراكز علمية وثقافية وعن دمشق قال :

« سكنت دمشق المدينة العربية الغالية على

العرب وعلى قلبي ، فقدتعلمت في مدارسها الابتدائية والثانوية وكنت مع القافلة الاولى من الطلاب الذين قدموا أول امتحان لشهادة البكالوريا خارج فلسطين بعدنا عن فلسطين ، ولكننا حملناها في قلوبنا، أينما سرنا ، وبقينا على صلة وثقى بالارض والاهل ، كما بقي الاهل هناك على صلة بنا ، وكان الشعر الفلسطيني وسيبقى احد جسور العودة ،وظهر الشعراء الجدد فيفلسطين المحتلة الذين تركناهم فراخا صغيرة يتعثرون فيمشيتهم على شواطىء الشعر الفلسطيني ، ومالبث زغب تلك الفراخ ان استبدل بأجنحة قوية ، امتدت واشتدت حتى اصبحت تقاوم ريح الغزاة ، وانطلقت الطيور في الفضاء صادحة جارحة ، وهكذا ستبقى وحدة الشعر مع وحدة النضال في فلسطين ...

من مؤلفات أبي سلمى النثرية ، كتاب (كفاح عرب فلسطين) وقد صدر في دمشق ١٩٦٤ وصدرله شعريا ديوان (أغنيات بلادي) عام١٩٥٩ ، المشرد عام ١٩٦٣ ، من فلسطين ريشتي ١٩٧١ وفي عام ١٩٧٨ صدرت الاعمال الشعرية الكاملة للشاعر أبي سلمى وقد تضمنت دواوينه الشعرية الكاملة ، وكل قصائده التي قيلت في شتى مراحل حياته منذ عهد الدراسة والصبا الى أيام الشباب والنضال الى النكبة والتشرد والثورة ...

ويقول الشاعر في مقدمة ديوانه عن أشعاره :

« انها تعكس ماأحسست وفكرت به عاطفيا وسياسيا واجتماعيا وانسانيا ، انها أشعار صادقة ملتزمة بقضايا شعبي الفلسطيني والعربي وهي جزء من تاريخ وطني الدامي » .

ترافق صدور ديوانه مع احتفالات تكريمية أقامتها له مؤسسات شعبية ورسمية وثقافية في كل من دمشق وبيروت وصنعاء وبغداد اذ احتفل الوطن الكبير بشاعره شاعر القضية العربية هذا ورافق كل ذلك منحه جائزة اتحاد كتاب آسيا وافريقيا (جائزة اللوتس) تقديرا وتتويجا لكفاحه من أجل قضية الارض وقضية الانسان ، وهو رابع أديب فلسطيني ينال هذه الجائزة بعد كمال ناصر — وغسان كنفاني ، ومحمود درويش ، وقد جاء في قرار هيئة اتحاد كتاب أسيا وافريقيا في معرض تقديمها للجائزة :

« ان الشاعر الفلسطيني ابو سلمى قدعاش من أجل قضية شعبه ووطنه وكرس صوته صافيا ومخلصا لقضايا وطنه المعذب فلسطين » .

هكذا جاء قرار الجائزة مزجا رائعا بين الشعر والقضية بين الشاعر ووطنه فكان الوسام مضاعفا . . وقد أصدر الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين كتابا ضم القصائد والكلمات والمقالات التي ألقيت في احتفالات تكريمه وسمي ذلك الكتاب : « أبو سلمى : زيتونة فلسطين » . .

وعندما سئل ابو سلمى عن رأيه بجائزة اللوتس قال :« انها وسام جديد على صدر فلسطين ولوكنت حكما لمنحتها لفلسطيني وللشعب الفلسطيني » . .

وسئل عنها مرة أخرى فحدثنا عن فلاح فلسطيني يخرج من جيب سرواله قصيدة له ويقبله . .

يقول أبو سلمى : هذه أعظم جائزة تمنح . . نعم ايها الشاعر هذه أعظم جائزة تمنح ، فماذا نقول عنك وبأي اسم نناديك ، عاشق فلسطين ،عاشق دمشق عاشق التراب العربي ، عاشق الزيتون والنخيل ، عاشق أطفال فلسطين ، نلتقي بالعاشق العربي وفي يده القلم الملتزم وفي عينيه دمعة الوجع الفلسطيني وفي قامته ديمومة الشموخ العربي . .

لم يتوقف الشاعر عن نضاله حتى وهو في سن السبعين فقد انتخب رئيسا للاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين وظل يشغل هذه المهمة حتى وفاته في صباح الحادي عشر من تشرين الاول ١٩٨٠ اثر عملية جراحية أجريت له بعد ان عاش ثلاثة وسبعين عاما قضاها شاعرا للثورة والكفاح ومؤرخا حساسا لقضايا وطنه الكبير . . هذا وتكريما له فقد حول بيته في دمشق ليصبح أول متحف ومركز ثقافي فلسطيني وفي كل هذا تخليد لذكرى شاعر فلسطين الكبير . .

— ٣ —

في مقدمة ديوانه الكامل يحدثنا ابو سلمى عن الاصوات الشعرية المتطورة التي حملت نسائم التجديد فكرا وخيالا وأسلوبا في الشعر الفلسطيني في مطلع القرن الحالي ، اذ كان أبو سلمى وابراهيم طوقان وعبد الرحيم محمود أعمق تلك الاصوات اثرا

في الحياة الادبية والسياسية والنضالية الفلسطينية ولئن كان ابراهيم طوقان قدعجل الرحيل ، وروى عبد الرحيم محمود دم بلاده شهيدا كما وعد في احدى قصائده ، فقد اتاحت الحياة لابي سلمى أن يبقى في طليعة الركب الثوري وان يعيش مآسي فلسطين واعتلاجاتها في نفوس أبناء الشعب الفلسطيني ،وان يشهد صحو الشعب من ذهول النكبة وانتفاضة الثورة الفلسطينية المسلحة التي غنى لها ابو سلمى أنا شيد انتصار وحب ثوري :

يافلسطين انظري شعبك في أروع منظر
بلظى الثورة والتشريد للعالم يثأر
يافلسطين ولاأغلى ولاأحلى واطهر
كلما حاربت من اجلك أحببتك أكثر ..

واذا أردنا ان نجول قليلا مع صفحات ديوان ابي سلمى الشعري والكفاحي لابد ان نشير الى ان ديوان ابي سلمى اجمل من ان نقتطف منه مقاطع على انها الاجمل او الاكثر تمثيلا لشاعرية الشاعر ونضاله الوطني والقومي والانساني ، وانه كل متكامل ، فيه استيعاب صادق للمرحلة التي أرخ لها الشاعر بصدق واحساس ، وفيه ابعد هذا البشرى النبوئية المبكرة بالمارد الفلسطيني القادم ..

ومن أراد ان يكتب عن ابي سلمى ، فعليه أن يكتب عن تاريخ كامل ، يمتد من أوائل الثلاثينات حتى رحيله ، من الاستعمار البريطاني الى النكبة والتشرد ثم المقاومة والثورة ..

— ٤ —

وعند قراءة شعر أبي سلمى نحس احساسا عميقا بالشاعرية الفياضة ، باللغة القومية البسيطة بالصور والاحاسيس الجياشة الواضحة ، واذا لفت نفسها برمزية فهي الرمزية الشفافة التي تختفي وراءها حرارة الفكرة وسحرها .

وفي سمات شعر ابي سلمى نرى انه شاعر تصويري يستقي صورته الشعرية من الطبيعة الفلسطينية ومن نفسية الشعب المكافح ،وطغيان الصور في شعره عائد الى أنه يستجيب لضغط الذكرى على نفسه !! ذكرى الوطن ، والدار والبيدر والملعب والدرب : فتنبثق منها صور الطبيعة ممزوجة بصورة التحدي والعذاب والشوق :

هل تسألين النجم عن داري
وأين احبابي وسماري
داري التي اغفت على ربوة
حالمة بالمجد والغار
والتينة الخضراء في ظلها
تاريخ اشواقي وآثاري
ملعبنا يوم رفيف المنى
وملتقى الجارة بالجار
والعين خلف الدار في المنحنى
تروي حكاياتي وأخباري

— ٥ —

وفي شعر أبي سلمى مرحلتان رئيسيتان تفصل بينهما النكبة ، الاولى : تاريخ للنضال الفلسطيني ضد الانتداب البريطاني والحركة الصهيونية قبل التشرد وفيها شعر المقاومة العنيدة لخطى المؤامرة والصراخ الجريح لوقف الدمار الذي يراه الشاعر يتفاقم في تلك المرحلة التي عاشتها فلسطين وفي شعر هذه المرحلة يتفرد صوت ابي سلمى الشعري شكلا ومضمونا ، فهو وان كان يكتب الشعر الكلاسيكي فان سلاسته وعذوبته تجعله أقرب الى الاناشيد والاغنيات الوطنية بعيدا عن أي تكلف واصطناع ، وعلى صعيد المضمون الشعري ، نحس في شعر ابي سلمى نظمه قبل النكبة هاجسا غريبا ، فيه توقع صادق للمصير المأساوي الذي آل اليه الوطن الفلسطيني مما جعله شاعرا للغضب والمرارة والرفض ، اذ كان يقف من الاوضاع موقفا ثوريا لا يرضى بانصاف الحلول :

ايه فلسطين الجريح قفي على ظهر الازار
لا تسألي المستعمرين بل أسألي اهل الديار
يا أيها الشعب العظيم   أمنت من شر العثار
قرر مصيرك انت لا   من يبصمون على قرار

وبحلول نكبة فلسطين تحول غضب الشاعر الى نقمة على الواقع الجديد ، واصبح الوطن العربي في نظره يعيش الحالة الفلسطينية ، فكل عربي هو فلسطين لان الدواعي التي أدت الى النكبة ما زالت قائمة تدعو الى نكبات متتالية .. لقد ابرز هذا الواقع في شعر ابي سلمى صور النفي والغربة والضياع والانشداد الى ذكريات الاهل والربوع بصورة قوية ، كما أبرز بالقوة نفسها صور النقمة على التجزئة والنظم البالية ، وزاده اقتناعا بالشعب وجماهيره الكادحة .

لا تقولوا : موج الخليج تلاقى
مع موج المحيط في افراح

والحدود التي تفرق ما بين بلادي مخضبات النواحي

ارفعوها تروا دماء تلظى
هي تهدي الى الطريق الصحاح

هذا الاحساس الذي ينبثق في نفس الشاعر ، وذلك الوعي الذي يقود خطاه ، جعله يحمل وطنه الصغير ويطوف به في الساحة القومية ساحة الوطن الكبير ، انه الفارس الذي لم يتعب – وعلى مدى نصف قرن – من مطاردة الاشباح ومن البحث عن النفس الفلسطينية كي يفجر طاقاتها الكامنة لقد صور أبو سلمى احساس النكبة تصويرا دقيقا حساسا فاجعا ، ثم تجاوز ذلك الى وثبة الحق والثورة والمقاومة ، وبقي الوطن رغم التاريخ والسنين عالقا في الذاكرة ، وظل الشوق في شعره متوهجا حتى تبدو بعض قصائده قطعا من الشوق الصادق الحار :

يا أخي أنت معي في كل درب
فاحمل الجرح وسر جنبا لجنب

قد مشيناها خطى دامية
أنبتت فوق الثرى انضر عشب

فأرض فلسطين في شعر ابي سلمى ماثلة في مساحة الواقع الى جانب مساحة الحلم ، بينما هي في نتاج الجيل الذي ولد ونما خارج الوطن فلسطين الحلم ، ذلك لان شعراء هذا الجيل لم يكحلوا أجفانهم برؤية ترابها الحبيب بل حملوا في خواطرهم صورا نقلها اليهم من سبقهم من اهل الوطن ..

وهنا تبدو شاعرية ابي سلمى الاصيلة المتمازجة مع الروح والارض .. فهو يحول فلسطين الى لوحة مقدسة رائعة . هذه اللوحة هي التي قامت بنقل الحقيقة الفلسطينية لاجيال ما بعد النكبة اجيال المقاومة والثورة .. لقد كان هذا المزيج الشعري الواقعي الحالم تخميرا للارض وتخميرا للنفوس لميلاد المقاومة الفلسطينية .

– ٦ –

نصف قرن من الزمان مضى قضاه الشاعر ولا هم له الا ان يقرأ مزامير فلسطين ، ويكتب كتاب سيرتها ، وينظم قصائد حب لها ، ويحدو لرحلة النضال من أجلها .. انها فلسطينه .. عروس احلامه وذاكرته وماضيه . يغفو على مضجع الحنين اليها ، ويتلهف الى رؤية تلك الدار وأولئك الاحباب والسمار ويحلم بالعودة : فيصور لنا احساسه هذا الذي تمزقه الغربة عن أرض الوطن بكل ألم المعاناة والشوق :

لا تسلني فلن أطيق جوابا
كيف أبكي الديار والاحبابا

كلما لاح من فلسطين برق
خفق القلب في القصيد وذابا

وسرينا على المروج طيوفا
وانتشرنا على رباها سحابا

قسما بالمسفوح انا حملنا
يا فلسطين في هواك العذابا

ما بعدنا عن طيب أرضك الا
زادنا البعد من ثراك اقترابا

هكذا دوما تبقى الدار التي ما تزال مفاتيحها في جيب الشاعر صورة لا تفارق ذاكرته بل لا تفارق ذاكرة الفلسطيني :

داري وفي عيني بعد النوى
الا ترى خيالها الساري

خضبه الحلم بألوانه
فخضبت بالدمع اشعاري

وينهال شعر الحنين عذبا يبكي المأساة ، ولكنه يتفاءل بالعودة والثأر تفاؤلا دليله الايمان بعقيدة الشعب المكافح :

داري لئن هدمها ظالم
في وجهه ميسم دولار

فان في الكون الشظايا على
هام الذرا تدعو الى الثأر

نعم .. لقد خنق الفلسطيني غربته في اضلاعه ، وحمل سلاحه ، وبدأ يعرف كيف يختصر طريق الدموع .. وهنا يجيب أبو سلمى عندما يذكره أحدهم بمفتاح بيته في حيفا اين هو ؟ وماذا ترى فيه ايها الشاعر ؟ « مفتاح بيتي لم يعد مفتاحا عاديا ، ألا ترى أنه قد أصبح بندقية في يد كل عربي ثائر ..؟ نعم يا ولدي ، لقد صهرنا المفاتيح بنادق وكثفنا الدموع دما من أجل الوطن ، المفتاح صار بندقية ، واما مفتاح بيتي في حيفا فهو معي رمزا ، واما ماذا أرى في هذا المفتاح .. فانني ارى فيه ذكرى النكبة ورائحة الوطن وامل التحرير » .

كان أبو سلمى يعرف قبل غيره أن الشعب هو وحده صانع الثورات وكان يرى في قواه الوطنية أملا بانتصار الثورة فهو ينشد للكادحين من العمال والفلاحين فيبرز نوعا من المحاكاة السياسية النضالية بين كفاح الجماهير الكادحة وبين النضال على الجبهة الوطنية والقومية :

يا أيها الشعب المفدى	قل لي بربك كيف تهدا
انتم اذا احمر الحديد	حماتها سهلا ونجدا

وبذلك يختار ابو سلمى جانب الجماهير المقاتلة ويقف خصما عنيدا للزعامات والانظمة العربية ، يواجهها بسخرية متهكمة مرة ، حتى ان بعض اشعاره في مرحلة النكبة كانت توزع على شكل منشورات سرية مثل قصيدته (لهب القصيد) التي جاءت ردا عنيفا على نداء الملوك العرب لايقاف القتال .. ذلك هو نداء لهب القصيد . نداء ابي سلمى الذي ظل طيلة نصف قرن من حياته المكافحة وشعره المناضل كافرا بانظمة التجزئة والخيانة محاربا لها ، محرضا عليها .. لقد كانت حياته قصيدة ثورية واحدة معلقة شعرية أو ملحمة للثورة – ان جاز التعبير – .

أنشر على لهب القصيد
شكوى العبيد الى العبيد

شكوى يرددها الزمان
غدا الى الابد الابيد

قالوا : الملوك ، وانهم
لا يملكون سوى الهبيد

سحقا لمن لا يعرفون
سوى التعلل بالوعود

هذه قصيدة كافية لنعرف من هو ابو سلمى ، لقد ذكر الاسماء والعواصم : اسماء المتآمرين وعواصم التآمر ووضع يده على جرح القضية آنذاك فوجده في الملوك والحكام العرب ، وصور النكبة ومأساتها ثم عاد باحثا عن الخلاص فوجده في ابناء الشعب العربي المكافح ، كل هذا طرحه في جرأة بالغة مما منع اسمه وشعره وقصيدته هذه خاصة من دخول اكثر من عاصمة عربية اشار اليها باصبع الفضيحة والاتهام .. على أن هذه القصيدة استعادت ايقاعها النضالي بعد ثلاثين عاما وبالتحديد في عام ١٩٦٨ في قصيدة ألقاها ابو سلمى في مهرجان الشعر الثامن في القاهرة فأعاد الى الاذهان اجواء قصيدته الاولى معيدا رسم خارطة الوطن الفلسطيني :

من فلسطين ريشتي وبياني
فعلى الخلد والهوى يدرجان

من فلسطين ريشتي ومن الر
ملة واللد صغت حمر الاغاني

ما شذا برتقال يافا قوافيها
ومن سهل طولكرم المعاني

وتوجه الى اخوته وأبنائه شعراء الارض المحتلة وعاد الوطن الى الذاكرة في صورة الاهل والقطاع والضفة وغنى نشيد الثورة الفلسطينية وفارسها الشامخ (الفدائي)

– ٧ –

عركنا أبا سلمى العاشق المحب الشاعر المقاوم : عبد الكريم الكرمي وعرفنا لقبه الذي غلب على اسمه فمن تكون سلمى المحظوظة تلك ؟

رغم أن هذا الاسم في الاصل هو رمز لعاطفة جاشت في صدر الشاعر أيام طفولته وشبابه ، فان الشاعر قد أجاب عبر قصائده ورحلة نضاله عبر نكبة وطنه وثورته .. لا بد أن تكون سلمى هي فلسطين أو طيف من كيان فلسطين ، سلمى الحقيقية ، سلمى الازل ، لانها حين ضاعت كلها أو قاربت .. لانها حين نسيت وكادت تطمس ، كان ابو سلمى هو الذي حفظ ذكراها وغنى مواويلها ، وأكد انها مقيمة على العهد مستحفزة في القيد ، يومها كان صوت الشاعر المتمرد على نسيان العالم هو صوت سلمى الذي أحيا القلوب وابقى جمرة الوطن متوهجة في اعماق بنيه :

يا فلسطين وكيف الملتقى
هل أرى بعد النوى أقدس ترب
يا أخي ما ضاع منا وطن
خالد نحمله في كل قلب

— ٨ —

والتحرر الوطني والقومي عند ابي سلمى هو جزء من حركة التحرر العالمي وهو بهذه الروح الانسانية الكبيرة يرى الانسان في كل مكان من العالم جديرا بالحياة الكريمة الحرة ، ويكاد ابو سلمى ان يكون رائدا لهذه الفكرة السياسية النضالية بين شعراء جيله والاجيال اللاحقة .. ان دائرة آلامه وآماله الوطنية والقومية التي عبر عنها في شعره تقوده الى الدائرة الانسانية الشاملة دون ان يفقد هويته وخصوصيته التاريخية :

أيها الثائرون في العالم الر
حب على الظالمين في الآفاق

حطموا النير فهو من اثر الو
حش على الارض واعصفوا بالوثاق

أينما كنتم فنحن رفاق
وحدتنا حرية الاعناق

جمعتنا مبادىء وعهود
فالتقينا من قبل يوم التلاقي

وهو يفهم الحرية فهما شاملا لا يتجزأ انه يريدها لنفسه ولرفاقه في التاريخ :

وحرية الفكر نحن الذين
رفعنا لواها كما تعلمين

ونحن الذين نثور على الظلم
والجهل والفقر في كل حين

ونحن الذين حملنا الرسا
لة للاولين وللآخرين

ومبدأنا عالم واحد
وتخليد حرية العالمين

— ٩ —

وكما احب ابو سلمى فلسطينه وثورته وسلماه ، فقد أحب الاطفال وكتب الهم اروع وارق واجمل القصائد المبسطة والغنائية في وقت كانت تفتقر فيه المكتبة العربية الى مثل هذا اللون من الشعر ويتوجه أبو سلمى الى الاطفال بالحماسة نفسها التي يتوجه بها الى الكبار مخاطبا اياهم بحب الوطن وصور الطبيعة الفلسطينية حاملا اليهم افكارا نبيلة تجعل الطفل في قلب وطنه وبلاده .

لقد كان أبو سلمى بالنسبة للاطفال مدرس الجغرافية الوطنية الفلسطينية فقد اعاد رسم وتكوين الوطن الفلسطيني مرات ومرات لتبقى صورة الوطن راسية في ذاكرة الاطفال الذين تضمهم الخيام خارج حدود الوطن ، وها هو ابو سلمى يحدثنا عن واحد من تلك المواقف يقول :

« كنت استقبل على ارض غزة قبل ان يغمرها الظلام (جان بول سارتر وسيمون دي بوفوار) باسم ادباء فلسطين ، وزرنا مخيم البريج وصادف سارتر صبيا فلسطينيا عائدا من مدرسته أوقفه سارتر وسأله من اي بلد انت ؟ فقال : انا فلسطيني ومن قرية الغار بجانب الرملة واخذ الصبي يصف الطريق الى قريته ومع الاشارات يقول : تذهب من هذه الجهة الى الشرق وبعد ساعة تجد تلة صغيرة تصعدها ثم تسير الى الشمال مدة ساعة ونصف ثم تلتفت الى الغرب وتسير ساعة اخرى فتصل الى قريتي ، فقال له سارتر : وهل تعرف قريتك ؟ فأجاب : انني لا اعرفها انا مولود في غزة ولكن أبي وأمي يصفان لي الطريق الى قريتي ويحدثانني عنها كل يوم حتى ا

كبرت واصبحت شابا سأحمل بارودتي واقاتل مع رفاقي ، وسأهتدي بسهولة الى قريتي » .

هذا كلام ابي سلمى ، ونحن نقول ان قصائده أثرت بقوة في حفظ صورة الوطن في الذاكرة الفلسطينية والعربية والانسانية ، في ذاكرة الطفل الفلسطيني ، فهو في كل قصيدة او انشودة للاطفال يعود فيرسم خارطة الوطن ، لوحة فلسطين الرائعة بكل تفاصيلها وملامح روعتها ، وهذا نشيد من اناشيد ابي سلمى التي يرددها اطفالنا اليوم في معاهد الدرس :

مد جناحيك على الكرمـــل
واللـد والرملـــة والمجـدل

يافا تناجيـــك فعرج بهـا ..
وقـل لبياراتهـا هللــي

هـذي بلادي مسحت دمعهـا
وابتسمت لنسرهـا المقبـل

— ١٠ —

وأبو سلمى شاعر حب كما هو شاعر وطن وقضية ، الا أنه لا يفصل بين حبه الذاتي وبين حب وطنه وحب حريته وحرية شعبه ، فقصائده الغزلية تنم عن شاعرية وطنية ثورية ، فلنقل ولا مبالغة : انه شاعر حب ثوري ، فالحب في شعره لا يعني التجربة العاطفية الذاتية وحسب ، بل يتجاوز ذلك الى تجربة الحب الوطنية الانسانية بأوسع مداها والتي تتمثل بذلك الحنين الحار والمزج بين حبه لفتاته وحبه لوطنه المنكوب ، المزج بين حبه لسلمى التي خفق قلبه لها في مطالع شبابه وحبه لسلمى نفسها التي أصبحت مع تقادم الزمن ومرور السنين صورة للوطن صورة للفلسطين ، صورة لا تبرح خيال الشاعر ابدا وان عودة سريعة الى قصائد ديوانه تقف بنا على معاني الحب والاحباب والقبل والاشواق والنجوى تلك المعاني تحتل مطالع قصائد الثورة والحرية والمقاومة :

من يحيي عنـي التراب الخضيبا
ويناجي بعـد الفراق الحبيبـا
هل تسألين النجـم عـن داري
وايـن أحبابـي وسمـاري
يا فلسطين ولا اغلى ولا احلى واطهر
كلما حاربت من اجلك احببتك اكثر

وطني هل سمعت من خفق قلبي
اغنياتي وهل شجاك النشيـد

— ١١ —

هذا هو شعر ابي سلمى : شعر الوطن والقضية والحب والطفل ، الصوت المتفرد في ميدان اشعر الفلسطيني الامر الذي يدعونا للتساؤل : ما هو موقع أبي سلمى من الشعر الفلسطيني الكفاحي عامة ؟ لقد كان ابو سلمى جذعا تفرعت منه أفانين شعر المقاومة ، وكان استاذ الجيل من الشعراء الذين ابدعوا القصيدة العربية الفلسطينية ، وهذه ليست صفة نسبغها عليه ، انما هي وسام توجه به ابناؤه واخوته من شعراء فلسطين ... ففي عرس تكريمه الذي جرى في اكثر من عاصمة عربية واجنبية لم ينس شعراء الارض المحتلة — أولئك الذين فاتهم مشهد العرس — ان يعبروا له عن تقديرهم لدوره الكفاحي ، فقطعوا قصاصة ورق كتبوا عليها (وهذا جزء مما كتبوه) : « من الوطن الى المواطن عبد الكريم الكرمي (ابو سلمى) لقد ساهمت مساهمة مجدية في التراث الثقافي الفلسطيني العربي الذي رضع منه شعراؤنا وأدباؤنا . وان فصلت الحدود بيننا فانها لن تقدر على حجب أناشيدك عنا » .

وقال عنه الاديب الشهيد غسان كنفاني : « أبو سلمى .. استاذ الشعر العربي المقاوم الذي تتلمذ على يديه جيل من الادباء العرب » .

وخاطبه محمود درويش باسم ادباء فلسطين في يوم تكريمه قائلا :

« يا أبا سلمى : اعطني يدك لارى البيدر الذي كنت العب فيه قبل ثلاثين سنة ، انت الجذع الذي نبتت عليه اغانينا .. فيا أيها الممسك بناصية الذاكرة بيد وبذراع المستقبل بيد ، اعطني يدك لاهزها فتتساقط مدنا وموانىء وقمحا وصيادي أسماك ، اعطني يدك لارى خارطة الوطن العربي الجديد » .

— ١٢ —

من اين ينبع هذا الحب ؟ ومن اين يأتي ذلك الشوق .؟ وذاك الوجع والتفاؤل ، تلك الصور من الالم والشموخ من الرقة والجبروت في آن معا ..

سؤال طويل يلح فور الحديث عن نسر فلسطين الذي رحل .. تقرأ اشعاره فتحس انك تتحدث الى وطن في هيئة رجل ، بل يتحدث اليك رجل هو الوطن في أحزانه وآلامه وتطلعاته وصموده .. وحتى نستكمل صورة الرجل : الزيتونة الشاعر ، صورة الوطن الفلسطي الخالد ، لا بد ان نعود دوما الى ديوانه الشعري ذاك السفر النضالي الرائع ، فتبدو الصورة أكثر توهجا واشراقا .. صورة الشاعر الذي استمر في عروق الدالية الفلسطينية نصف قرن من الزمن مورقا معطاء لا يعرف التعب ولا الكلل ، استمر قبطانا امينا في قيادة السفينة الفلسطينية غير آبه بشكل وحوش البحر على كثرتها ..

وعندما اضطر لترك بيته في فلسطين : ترك طاولته الخشبية التي كتب عليها اروع القصائد الوطنية والقومية ، تركها لابنائه من جيل الشعراء الفلسطينيين ليكتب عليها كل من توفيق زياد ـ وسميح القاسم ـ وسالم جبران ـ وأميل حبيبي .. ليست تلك الطاولة غير جسر الوصال بين الوطن وأبنائه بين داخل الوطن وخارج الوطن ..

نعم أيها الشاعر .. يا من أرخ للنبض والدم العربي الفلسطيني فكان اصدق مؤرخ .. لا اجد في نهاية مباركتنا لك ولاجيال الزيتون المنبثقة عنك الا ان أردد معك واحدا من اناشيد العودة التي غنيتها:

وسألني الرفاق الا لقاء
وهل من عودة بعد الغياب

أجل .. سنقبل الترب المندى
وفوق شفاهنا حمر الرغاب

غدا سنعود والاجيال تصغي
الى وقع الخطى عند الاياب

نعود مع العواصف داويات
مع البرق المقدس والشهاب

مع الامل المجنح والاغاني
مع النسر المحلق والعقاب*

* * *

نزار وجيه فلوح ـ كلية الآداب

قسم اللغة العربية ـ جامعة دمشق

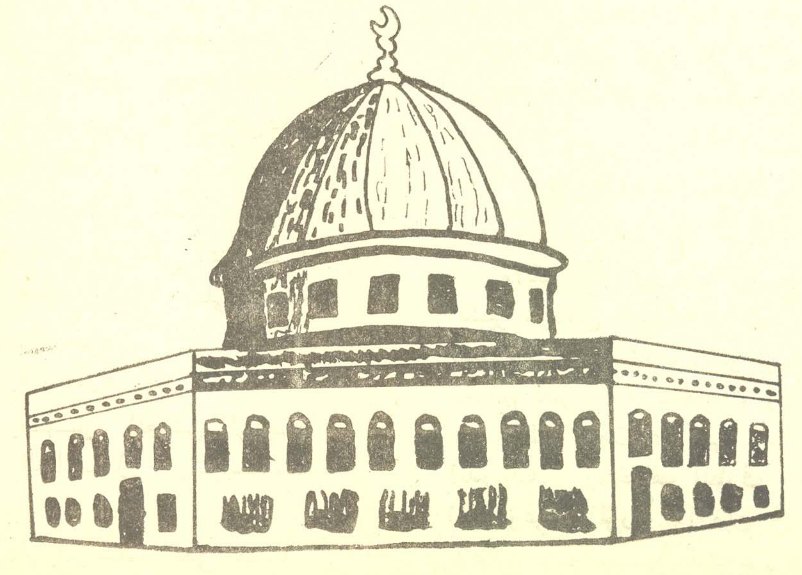
---

* ألقي هذا البحث كمحاضرة في قاعة نادي الشهبية الثقافي في الزيداني بتاريخ ١٧ نيسان ١٩٨١

المراجع والمصادر :

١ ـ ديوان ابي سلمى : عبد الكريم الكرمي ـ دار العودة ـ بيروت ١٩٧٨

٢ ـ ابو سلمى : زيتونة فلسطين ـ منشورات الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين .





الاديب محمد غازي التدمري

وكتابــه

«الحركة الشعرية المعاصرة في حمص»

• عرض وتعليق : عبد العليم صافي •

حين يصدر اديب من ادباء بلدي حمص كتابا مطبوعا من نتاجه ، اضع يدي على قلبي اشفاقا على هذا الاديب من خسارة مادية محتومة .

فالكتب الجادة التي تصدر عن أديب حمصي شعرا أو نثرا : لا تجد سوقا رائجة ، علما بأن مثقفي حمص من الشباب والمخضرمين كثر ، بل واكثر من كثار ولكنهم كلهم ، ولا اكاد استثني ، ينتظرون ان يتفضل المؤلف عليهم بنسخة من مؤلفه هدية ! لكي يتفضلوا عليه بقراءة عاجلة او بتصفح مبتور ، ثم بقلب الشفاه ازدراء . مصداقا للاقوال المأثورة : « مغني الحي لا يطرب » و « لا كرامة لنبي في وطنه » .

أقول هذا وبين يدي المؤلف الضخم حقا « الحركة الشعرية المعاصرة في حمص » للاديب الشاب (محمد غازي التدمري) وما احراني بأن أتمثل بقول ابن عمي الشاعر « رضا صافي » في الشباب :

قالوا الشباب فقلت ايه بدمي وروحي أفتديه
يا حسنه يا حسن ما طلعت يداه على بنيه
الفجر بسمة ثغره
والبحر ثورة صدره
روض الاماني منتداه ومنهل العيش الرفيه
ومحلق الهمم الطوامح للجليل وللنبيه

فما أصدق ما ينطبق هذا الوصف الحي على الاستاذ « محمد غازي التدمري » الشاب : بسمة فجر ، وثورة بحر ، وروض أماني ، ومحلق همم طوامح ، فما أنشأته مدرسة متخصصة بفن ولاتفتح على الحياة وفي فمه ملعقة من ذهب ، وانما هو ابن جده وعرقه وسهره وجلده ومجالدته وصبره ومصابرته ، ودرسه ومطالعاته وعشقه لما أخذ به نفسه ، مع تواضع محمود ومشكور حتى ارتفع بهذا كله الى مستوى يحسد عليه المتنفخون ، ويهلل له الذين يريدون لهذا البلد كل خير ونجح ، ولقد كنت أقول دائما : « الرجل يصنع شهادة ، ولكن الشهادة لا تصنع رجلا ، والرجل يصنع مركزا ، ولكن المركز لا يصنع رجلا » ولقد كنت أقول دائما : « ان الابداع الفني عرق وجهد وسهر وعمل دائم ودائب » وما أصدق هذا كله على الاستاذ زين الشباب « محمد غازي التدمري » وفي هذا الاستاذ الشاب المكافح أديبا ، اخلاق الاديب الحق الذي لا ترى فيه اوداجا منتفخة ! ولا أنفة كاذبة ، ولا سعيا مزريا وراء المريدين المطبلين والمزمرين ، ولا تهالكا مخجلا وراء كسب مادي ، وانما الحب كل الحب والبحث المستمر ، والاتصال الدائب بكل من يجد فيه خيرا ، وبكل من عنده خير من زاد ثقافي وادبي ، وحسبنا مؤلفه هذا الذي جهد به أربع سنوات لا تعرف هوادة ولا راحة حتى اخرجه مفخرة له وللبلد وللادب ، مما يجعله بحق في مستوى المؤلفات التي تحتل مكانها المرموق في المكتبة العربية .

ولو أن اديبنا « التدمري » كان في غير هذا البلد لكان له شأن كبير وبعيد .

ومؤلفه « الحركة الشعرية المعاصرة في حمص » أول مؤلف من نوعه لا في حمص وحدها ، ولا في سورية وحدها ، واكاد اقول ولا في العالم العربي وحده ، وما أشبهه بكتاب « أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الاميركية » للشاعر « جورج صيدح » سعة وشمولا ، وان كان يفوقه بحق دراسة وتحليلا .

والكتاب في ستمائة وسبعين صفحة من القطع الكبير ، متقن الطباعة والخطوط والرسم ، في اهداء يعبر عن الوفاء اسمى الوفاء ، وفي مقدمة رائعة جاءت كمنهج لدراسة وكخطوات واثقة في برمجة كتاب ، مما جعلها دليلا حيا على قدرة كاتبنا في ولوج أصعب الدروب ، ومختلف الطرق ومتباين القدرات بروح الموضوعي والمؤرخ والامين والذواقة ، والمثقف واسع الاطلاع ، والمحسن للتقويم والعرض والتحليل

والاستنتاج والرأي البعيد عن الهوى في اغلب الاحيان وفي دراسة لستة وتسعين شاعرا كانت في اغلبهـــا مستفيضة ووافية وكافية ، وفي فهرسة تسجـل أسماء الشعراء ورقم وجود كل منهم في صفحات الكتاب ، ولقد كان ترتيب الشعراء وفق مواليدهم لمحة ذكية من كاتبنا ابعدته عن حرج .

والكتاب بهذا تاريخ وسجل أمين ودقيق لغالبية الشعراء من هذا البلد ، لم يظفر بمثله من يوم وجد ، واحتوى على قدر كبير ومختار من شعر هؤلاء الشعراء وبخاصة لمن لم تتح لهم ظروف مواتية لطبع دواوينهم وهذا كله كفيل لهذا المؤلف الموسوعة بالخلود ، ولمؤلفه بالارتفاع الى منازل يشتاقها الكثيرون دون ان يبلغوا درجاتها الدنيا ، فكيف اذا كانت في هذا المؤلف بصمات واضحة ومميزة لصاحبها تدل بصدق على ذوق واصالة وتمكن واستيعاب وتدقيق وتمحيص ، وثقافة معاصرة ، وحداثة في عرض وتحليل ودراسة ، ولقد جذبني حقا الى هذا الكتاب والى صاحبه ميزات لا استطيع ان أنفذ اليها كلها ، وحسبي بعضهـــا دليلا عليها :

١ ـ التعبير المركز والمكثف الذي عنون به لكل شاعر تقريبا ، فجاء هذا العنوان مؤشرا صادقـا وواعيا الى حد بعيد ، على خصائص وميزات كـل شاعر ، كما جاء ايجازا حلوا وموفقا ولبقا وجديدا ، لتلك الخصائص والميزات مع فهم عميق وواثق وناقد لشاعرية كل شاعر ولمساحات شعره وامكاناته الفنية ، وتعتبر هذه العناوين المركزة والمعبرة والوجيزة ميزة كبرى لاسلوب كاتبنا الرائع والبديع والحديث ، فعن الشاعر « وجيه وهبة الخوري » يعنون له كاتبنـا بقوله : « ثورة المضمون في الشكل الثابت » ويعنـون للشاعر (ميشال مغربي) بقوله : « تجربة غنيـة ومعاناة متأزمة في حدود شكلية ضيقة » ويعنـون للشاعر (منير الكلاليب) بقوله : « كلاسيكية متطرفة ومعاناة متكلفة » وعنون للشاعر (رضا صافي) بقوله : « تاريخ مدينة ، وحضارة فن عريق من خلال الفكرة والاسلوب » وعنون للشاعر (محي الدين الدرويش) ، بقوله : « كلاسيكية متطرفة من خلال محافظة متصلبة على اللغة والتراث » وعنون للشاعر (نبيه سلامة) بقوله : « نافذة عريضة يطل منها الشعر المهجـري بكامل أبعاده ومنطلقاته » وعنون للشاعر (رفيـق فاخوري) بقوله : « أصالة لغوية وعمـق تراثي ، ومعادلة متكافئة بين التراث والمعاصرة » وعنـون للشاعر (وصفي قرنفلي) بقوله : « ثورة الشعر في عنفوان التحدي » وعنون للشاعر (ياسين فرجاني) بقوله : « حضارة مشرقة تحت عباءة بدوية متألقة » وعنون للشاعر (عبد الرحيم الحصني) بقـوله : « تجربة فنية متكاملة الشكل والمضمون » وعنـون للشاعر (عون الدرويش) بقوله : « تجاوز شكلي متطور من خلال تضاد المعاناة بين الذات والواقـع » وعنون للشاعر (ممدوح السكاف) بقوله : « رحلة الشعر بين الغيبوبة والوعي » وعنون للشاعر (عبد القادر الحصني) بقوله : « لذة الاحتراق في أتـون الحزن والثورة ، واشراقة متحفزة من خلال لمحـة فنية مكثفة » وعنون للشاعر (محمد طيب شـلار) بقوله « وعي أخضر في حقل مجدب » وعنون للشاعر (مروان السباعي) بقوله : « شاعرية متدفقـة ، تعتمد التسجيل من خلال المواقف العابرة قبـل التعبير من خلال وحدة الفن » وعنون للشاعر « محمود عارف البارودي » بقوله : « كلاسيكية متطورة من خلال تماثل الذات مع الخارج » وعنون للشاعـر (راتب الاتاسي) بقوله : « التزام فني مطلق بالقضايا العامة من خلال تجاو ز المضمون لابعاد الشكل » وعنون لكل شاعر بما يختص به وحده دون غيره ، ولو رحت أستقصي لضاق بي قلمي ، وانما هي نماذج تعبـر بصدق عما يريد صاحب الكتاب ان يقوله عن كـل شاعر ، ولو لم تكن لاديبنا الاستاذ (التدمري) الاهذه العناوين الوجيزة والموحية والمعبرة لكانت وحدهـا شاهد عدل على سمو في اسلوب ، وحداثة مع اصالة في هذا الاسلوب .

٢ ـ الامانة المطلقة حين ينقل ما يريد الشاعران يقوله عن نفسه ، أو مما يأخذه كاتبنا عن المصادر التي اعتمدها ، ولا أدل على ذلك مما جاء به عن لسـان الشاعر (رضا صافي) وعن الشاعر (عبد المعين الملوحي) وعن (العماد مصطفى طلاس) .

٣ ـ في دراسة كل شاعر ما لا ينطبق الا على هذا الشاعر نفسه في أسلوب محدث ، ونفس معاصـرة لم يفقد فصاحة التعبير ووضوحه وصحته ، فلايجتر الكاتب نفسه ، وليست لديه قوالب جاهزة يقولهـا عن كل شاعر ، وعن كل اثر شعري ، بل لكل حقـه من قول جديد وتعبير مركز وموف بالمقصود .

٤ ـ تمتاز هذه الدراسات بالشمولية المستطاعة ، فهي تكاد تقف عند كل مقطع شعري لهذا الشاعر الذي تدرسه ، تحدد مكامنه الفنية ومضامينه الفكريـة والنفسية ، وكدليل فقط لنأخذ ما جاء في الصفحة

(٣٥٢) عن الشاعر (غازي طليمات) « فعلى مستوى الشكل نفى من عالمه الشعري تقليدية الاجترار البدائي ونهج حداثة الشكل المتطور ، السهل القريب من الاوان المتجددة ، وهذا ما جعل المضمون يستوعب متطلبات العصر ، ومعاناة الحضارة دون أي تكلف أو تصنع ، ولذلك مارس كتابة القصيدة الكلاسيكية بأشكال متطورة فيها من التجديد اكثر مما فيها من التقليد ، فتلونت بمجموعة من الالوان التي عبرت عن متطلبات العصر وهمومه » .

وعن قصيدة الشاعر نفسه (الارض) التي مطلعها:

« ضج في الارض الغضوب ، الالم
فاذا الاغوار فيها قمم »

يعلق كاتبنا بقوله (ص ٣٥٣) : « التحام أكيد مع الارض ، وثورة ضد الغزاة ، وصوت ينادي بعودة الحق ، فهو من ابطالها وشهدائها الذين نفحوا الارض بطيب الدم الذكي » . وفي (ص ٢٦٠) يقول كاتبنا تعليقا على مطولة الشاعر (خالد الزهراوي) في اغتيال (الملك فيصل) التي مطلعها :

« كيف ترتاع من منايا الرجال
والرزايا لدات هذي الليالي »

« مطلع جزل تشع منه روح المتنبي وقد صيغت القصيدة المطولة في وحدة فنية متماسكة مترابطة متحدة بسياق لغوي متكامل » .

وعن الشاعر (عبد الباسط الصوفي) قال : « لقد كان شمعة تحترق واملا يشرق : خارج حدود النفس ، رسمه على جباه المتعبين ، بسمة صبح جديد لا بد ان يشرق من وجه الشمس » .

٥ ــ الاخذ بالمنهج النقدي البنيوي الحديث في كثير ممارسة من دراسة للشعراء الشباب الذين مارسوا الشعر الحديث بجميع قوالبه من مثل ما جاء من دراسات عن الشاعر (محمد أديب الزهر) والشاعر (عون الدرويش) والشاعر (عبد القادر الحصني) والشاعر (عبد الكريم الناعم) والشاعر (ممدوح السكاف) وغيرهم كثير .

والكتاب يحمل من الشعر المخطوط لاصحابه ، كما يحمل من الشعر الذي رأى النور في دواوين ، وقد أحسن اديبنا في ايراد لمحات وجيزة عن حياة كل شاعر ودراسته وانتاجه المخطوط او المطبوع . وما دام هذا الكتاب يدرس الشعر العمودي والشعر الحديث ، فلنأت بمثال واحد على كل منهما نريد به التمثيل فقط ، لا الترجيح ولا التزام طرف دون طرف ، ودون تفضيل لشاعر على شاعر ففي (ص ٢٨٢) أورد كاتبنا للشاعرة (فاطمة البديوي) قولها:

« تيهي شقيقة بان في تأودها
ثم اخطري لتزيدي الكون اشراقا
وارسلي اللحن تهتز القلوب به
فالثغر خمر غدا للروح ترياقا
ان تبسمي فليالي العمر باسمة
أو تعبسي يستطير القلب اشفاقا »

وفي صفحة (٢٨٨) أورد للشاعر (نصر الدين فارس) قوله :

« ويطل وجه في ضمير البيد أسمر
نظراته كبر النسور
كجراح حقد العاصفة
كسحابة معطاءة في حلم المروج الخائفه
يستاف في بيدائه أرج العصور
ويثور في اعماقه ثار مطهر »

أما بعد .. فهذا كتاب دارس لستة وتسعين شاعرا من حمص بما لهم وبما عليهم ، ولو ان كاتبنا أراد لدراسته ان تكون اكثر عمقا واعمق استدلالا لجاء كتابه في اضعاف مما هو عليه .

وان كان لا بد من ملحوظات عابرة ناقدة لئلا نتهم بالتملق فانني ارى ان كاتبنا في اكثر ما جاء به قد تجسد فيه قول (أبي ماضي) :

« كن جميلا ، ترى الوجود جميلا »

فكان جميلا في رؤيته ، وكان جميلا في دراسته وكان جميلا في تعليقاته ، وكان جميلا في كل شيء في كتابه .

وانني ارى ان رأيه في سكوت بعض شعرائنا عن قول الشعر وممارسته يحتاج الى استقصاء اكثر ، والى تمحيص دقيق في الدوافع النفسية والداخلية والخارجية التي آلت الى صمت عجيب وغريب .

كما ان دراساته النقدية البنيوية تحتاج الى اطلاع أوسع على تلك المدرسة النقدية الحديثة ، وعلى منهجها العلمي الدقيق والفريد .

وصدقا انني فخور بالاديب الشاب (محمد غازي التدمري) وفخور بكتابه ، وفخور قبل هذا كله وبعد هذا كله بجهده الذي لا يكل ولا يمل ، وبامكاناته التي ستأتي مع الايام شلالات عطاء تضيف الى نهر الحضارة الدائم الجريان ، اضافات ذات شأن جليل وجميل ، تذكر له وتخلده ، وكان الله في عونه خاسرا ماديا . وسلم ودام للادب والثقافة مشعل نور ، ونور حضارة والله من وراء القصد .

حمص ١٥ - ٦ - ١٩٨١

● عبد العليم صافي ●

أخبار ثقافية

● البيان حول وضعية الكتاب والفنانين ●

* مصطفى النهري ، الكاتب العربي المغربي أصدر كتابا جديدا تضمن « البيان حول وضعية الكتاب والفنانين والمثقفين » بـ ٢٠٩ صفحات من القطع المتوسط ، الكتاب عن دار الطباعة الحديثة ـ الدار البيضاء .

* * *

● الريح الطائشة ●

* عيسى الشماس ، ترجم قصائد حديثة لبعض شعراء البلغار بعنوان (الريح الطائشة) وتضمن الكتاب ـ وهو من القطع الصغير بـ (٩٤) صفحة ـ نبذة عن حياة كل شاعر ـ ثمانية شعراء وشاعرتان ، وبعض قصائد له .

شعر هذه المجموعة ينسحب على الحياة في نزعتها الانسانية بعمق المضمون الشعري وصلته بحركية الواقع الذي يلتصق بالجماهير ويعيش معها .

الترجمة ـ كانت ـ عن اللغة الانكليزية التي يجيدها المترجم الشاعر .

* * *

● الشاعر عبد اللطيف ارناؤوط ●

ومجموعة من الشعر باللغة الالبانية

* صدر في كوسوفا في يوغسلافيا مجموعة شعرية بعنوان / ما بعد الجبال والبحار / وتضم أربعين قصيدة شعرية نظمها الشاعر الاستاذ عبد اللطيف أرناؤوط باللغة الالبانية .

* * *

● ابن بطوطة ●

* تقوم منظمة اليونسكو الدولية باعادة طبع كتاب الرحالة العربي « ابن بطوطة » مضافا اليه ترجمة باللغة الفرنسية الى جانب ملحمة للشاعر البرتغالي لوشي دي كاميونز يتكلم فيها عن رحلة فاسكودي غاما حول افريقيا

والشاعر البرتغالي لوشي دي كاميونز ولد سنة ١٥٢٤ وتوفي سنة ١٥٨٠ وله محلمة عرفت باسم « لوزياد » .

* * *

• قطاف الخمسين •

للاديب الشاعر الكبير الاستاذ

عبد الله يوركي حلاق

(صاحب مجلة « الضاد » في حلب)

● هدية « الضاد » الغراء في حلب للعام ١٩٨١ كانت كتاب « قطاف الخمسين » لصاحب المجلة الاديب الكبير الشاعر الاستاذ عبد الله يوركي حلاق وقد ضم هذا الكتاب احدى وخمسين مقالة بـ / مائتي صفحة من القطع الكبير مع المقدمة ، وان عبرت هذه المقالات عن مواضيع راهنة وملحة في عصرنا فانها من جانب آخر تحمل ذكريات أديب وشاعر .. أعطى منذ بلوغه السادسة عشرة من عمره ـ وما يزال ـ شعرا عذبا وكتب المقالة والقصة والمسرحية وساهم في الحركة الادبية الحديثة في مدينة حلب .. بل وفي القطر العربي السوري وغيره من الاقطار الشقيقة .. كذلك رفد المكتبة العربية ببعض مؤلفاته كـ (الزفرات) مجموعة قصص قصيرة و/في حمى الحرم رواية طويلة و / وضوح الاملاء / كتاب مدرسي طبع ثلاث مرات ، وكتاب « حصاد الذكريات » وكتاب من اعلام العرب في القومية والادب .. وأول ديوان شعر للزميل صاحب « الضاد » كان بعنوان (خيوط الغمام) ١٩٤٢ م وغيرها كثير ما زال مخطوطا ينتظر المطبعة .

و / قطاف الخمسين / جدير بالقراءة والتأمل لانه بالفعل يحمل في جنباته تجارب حية وصادقة .. وذكريات أمينة وحميدة في لغة عربية جميلة تبوح بسرها الجميل للقارىء العربي .

الكتاب في خدمة السلام والتقدم

● اعلنت ١١ منظمة دولية بما فيها هيئة الامم المتحدة ومنظمة الدول الدولية عن الاشتراك في معرض الكتاب في موسكو الذي جرى في ايلول الماضي تحت شعار – الكتاب في خدمة السلام والتقدم – . كما ان منظمة التحرير الفلسطينية تشارك في هذا المعرض ، وان عدد البلدان التي قدمت معروضاتها يقارب التسعين . ولاول مرة تشترك في المعرض كل من كمبوديا وليختينشتين ونيكاراغوا والاردن .

وفي حديثه عن اهمية معرض الكتاب في موسكو أشار الامين العام لهيئة الامم المتحدة كورت فالد هايم الى أنها عبارة عن – مثل ملهم للطريقة التي يمكن بها للبلدان التعبير عن بنود وثيقة هلسنكي الختامية بالمضمون العملي –

❀ ❀ ❀

● عالم الصحافة العربية والاجنبية ●

تأليف : ياسر الفهد

● عالم الصحافة العربية والاجنبية هو الكتاب الثالث للاستاذ ياسر الفهد ، الذي صدر حديثا في دمشق ١٩٨١ – شهر ايلول – ب (٢٤٠) صفحة من القطع الكبير – والورق الفاخر زينه غلاف جميل من تصميم الفنان : أكرم أفدار – مطابع ألف باء / الاديب في دمشق ، ويشمل هذا الكتاب الجديد صحافة الاقطار العربية وبعض الاقطار الاجنبية بواقعها الحالي ، مع خلفية تاريخية مناسبة ،

وهو يغطي جانبين : الجانب التوثيقي والجانب النقدي . وتتسم المعالجة النقدية للاتجاهات الصحفية بالاستقلالية والحياد والنزاهة والجدة . وربما يكون هذا أول كتاب يمهد الطريق امام المقارنة بين الصحافة العربية والصحافة الاجنبية ، ويفتح باب الاستفادة من تجارب الدول المتطورة في ميدان الصحافة .

● هذا وان الكتب التي صدرت للاستاذ ياسر في هذا المجال هي / مواقف مع الصحافة العربية في عام ١٩٧٥ – و / الصحافة العربية المعاصرة في عام ١٩٨٠ – علما أن في كتابه الجديد جهد كبير بذله المؤلف يشكر عليه ويستأهل كل تقدير .. ناهيك عن المقدمة التي شرح فيها الفهد الغاية الطيبة التي من أجلها كان الكتاب الجديد .. فالى عمل آخر نتمنى للاستاذ ياسر توفيقا ونجاحا ليتوسع ما استطاع في القاء الضوء الساطع على صحافتنا العربية القائمة وما احتجب منها في الزمن السالف . الحديث والقديم

● عيون لا ترى ●

فالك حصرية اصدرت مجموعتها القصصية الجديدة « عيون لا ترى » .

حوت المجموعة تسع قصص تميزت بنفس الكاتبة الخاص ، وبروح نسائية مألوفة في أدب القاصات السوريات المتمكنات مع تلك اللمسة الانثوية التي تراوح بين الالفة والحزن الشفاف والامل المضيء والامومة المطلقة .

❀ ❀ ❀

● أشجان المساء ●
للشاعر : فياض شحادة نصور

● صدرت في حمص المجموعة الشعرية « اشجان المساء » للشاعر الاستاذ / فياض شحادة نصور / قدم لها الاديب الكبير الشاعر الاستاذ محي الدين الدرويش ، وقد ضمت المجموعة اثنان واربعين قصيدة وزعت على ثمان واربعين ومائة صفحة من القطع المتوسط تراوحت بين الغزل والحب والوصف والوجدانيات في لغة جميلة واداء جيد والتزام بقيود الشعر العربي الموروث ضمن ايقاع موسيقي لا شائبة فيه . وعلى طريقة المنهج السلفي .. لكن التشبب بالحبيبة في أكثر القصائد ابعد مضمون المجموعة عن المعاصرة وهذا ليس عيبا او تقصيرا من شاعرنا نصور ، فهو في الواقع عاش تجربة قصائده التي عرضها في كتابه بصدق فالشعر عنده يبدعه القلب الخفوق وتغنيه النفس المشرقة وتستمع اليه الاذن المرهفة .. ومع انه – أي الشاعر – يحب الحياة ، لكنه يجدها تارة قاسية وتارة اخرى تلين له وتبتسم ، واما الحبيبة فانه ذاهل منها مرة لانها أقامت في مهجته وبقيت .. ومرة يتعجب لانها تركت مودته ، فيثور ويشكو ، وهو الغريب .. وهذه بالطبع حال كل شاعر رقيق يحس بالوجود في اطرافه المختلفة جميعها ويعيش فصوله فيعكسه على الورق بقلمه المغموس بالدم الانساني صورا بارعة الغرض ، صافية القسمات .

– صمم الغلاف : الفنان نزار قطرميز وخط عنوان القصائد الفنان : محمد فرحان طرابلسي – طبع المطبعة الحديثة في حماه –

● من أجل سعادة الاطفال ●

● افتتح معرض الفنان البلجيكي جيرارد غودوين في مدينة تشيليابينسك الاورالية . ويضم هذا المعرض حوالي ٥٠٠ عمل في الغرافيك مكرسة للنضال من اجل السلام وسعادة الاطفال . وقد سبق لغودوين ان زار الاتحاد السوفييتي مرتين وقد عكس انطباعاته عن هاتين الزيارتين في أساس عدد من أعماله .